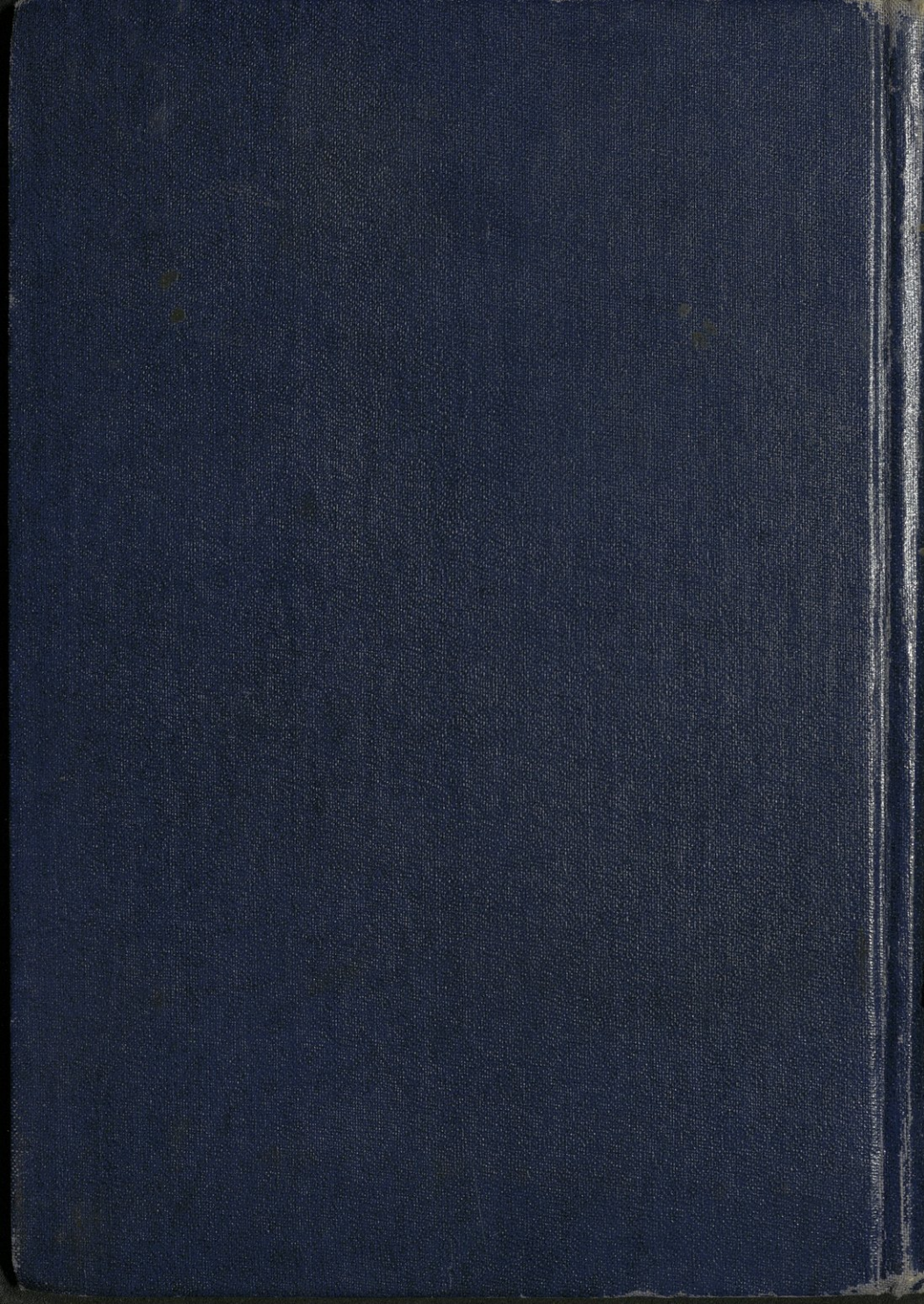




تجارت صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧





892.73

I296A

الياس مقدسي الياس

ليته لم يعد
تبيان

مجموعه قصص

قدم له الكاتب الكبير
سعيد تقي الدين

منشورات
دار الصراع الفكري

تصميم الغلاف
للفنان
عادل قيصر يونس

رسم الفنان
عون ممتاز

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة
لدار الصراع الفكري



مقدمة الى الاديب الكبير، والى كل من اصدق

المستاذ البيراريت

صاحب ورئيس تحرير مجلة الاديب الف

مع خالص تقديري والمحامي

مقدمة
بيروت ١٩٥٥/٧
المؤلف
الاديب

بقلم سعيد تقي الدين

حين انت تطوِّف بيت « القصة » فتجد الياس مقدسي الياس ،
صاحب هذه المجموعة ، من ساكنيه .. لا تسله كيف وصل الى
هناك . انه لم يثب اليه من النافذة ، ولم يتسلل عبر الباب ، ولم
يخلعه ، لقد هدم حيطان البيت الاربعة ، ودخل

وذلك لا يضيره ، لم يدخل الناس البيوت من ابوابها ان كان
في وسعهم ان يقحموا حيطانها ؟

هذا الفتى عتليت جسد ، وجبار روح ، انه قطار مسرع على
غير شريط ، نفسه كلها وقود ، هو يريد مستعجلاً ان يبني ، فيتناول
من ادوات الحياة كل ما تقع عليه يده ، هنا قبضة حصى ، وهنا
حجر منحوت ، وهذا كميون يفرغ حمولة رمل ، وهذه قطعة من
حائط فسيفساء ، وهذا دولاب كاوتشوك عتيق . انظر اليه يصب
فوق كل هذا ماء انتشله من بئر ، وعرقاً ينضب من جيبنه ،

فيجبل ويشيد ، وفيما هو يفعل كل ذلك قد يباغته مفتش البلدية
يريد ان يمنعه من البناء او يرتد به عن الشارع . قد يصغي اليه
صاحبنا وقد يناقشه وقد يشاقه ولكن البناء مستمر .

الحيوية الزخارة الزخافة هي شيء ينتزع الاحترام . وهي
جوهر النجاح في كل نشاط ، وهي في الياس مقدسي الياس عامرة
تخلق وتؤلف وتجمع وتكس ...

وان كانت هذه مزية الكتاب الكبرى ، فان لها مزايا ثانية ،
في اشخاص قصصه ، وفي حوادثها اصالة مقنعة ، هذا فتى ضعفه في
قوته ، فان شدة مراسه تشيع فيه من الاعتداد ما يردعه عن اللجوء
الى كياسة الصناعة ومهارة الفن . ولكن له من القدرة والحشونة
والاصالة - وهذه شيء اساسي - ما يجعل انتاجه شيئاً ذا قيمة .

وفي هذا الكتاب (ليت له لم يعد) ماثرة الصدق فمؤلفه لا
يكذب ولا يزيف ... كما وفيه آثار تبشر بأن صاحبه هو في
الطريق الذي يوصل به الى الابداع ...

لا اعرف في ما تصدره المطابع اليوم كم كتاباً يستحق ان
نقيم له المهرجان ، على كثرة ما يقام من مهرجانات ، ولكن لمثل
هذا الكتاب يقرع الناقوس - اكثر من مرة واحدة ...



سَمْعَدٌ تَحْتَرِقُ

الحقيقة التي يجب ان تعلن هي اني بقيت في حيرة بما سأطلقه على هذه السطور من نعت ، فلا اكاد استقر على واحد حتى استبدله بآخر ، فظلت معلقة بين « المقدمة ، والاهداء ، وصورة توضيحية ونضال » ، وقد يدل عنوانها على انها قصة اجتماعية ، واصارح القارىء ان هي الا سوانح نفسي ، وجزء من ذكرياتي العابقة تارة بالابتسامات ، واخرى بالدموع المضمخة بسفر حياة وجودي ... انها بعض حياتي ، واثن ما في كينونتي ...

سألني احدهم ذات يوم : هل كانت للمرأة اثر في حياتك ؟ . اجبته : كل الاثر ...

اجل ان هذه السطور ما هي الا قصة تلك المواطنة العظيمة من بلادي التي حملت في صدرها كل ما في وطني من محبة خيرة ، وعطاء دافق ... انها حكاية شمعة كانت تحترق لتنيو لي سواء السبيل كي لا تتعثر خطاي ، ولأرى الخير ، وأمس الحق ، فكانت كل شيء

في حياتي ، لانها اعطتني اكثر مما تملك من ضيائها ، اكثر مما
تستطيع ان تهب من القيم والمثالية ، فكنت ارى بعينها الكيوتين
الضاحكتين بماء بلادي ، وبابتسامتها التي لا تفارق ثغرها
جمال وطني ...

كانت كلما سقطت امتدت يدها لاقالة عثرتي ، وكلما فشلت
لقتني كيف يجب ان انجح واشق لي في الحياة طريقاً جديدة ...
كانت تجوع لتطعمني ، وتشقى لتسعدني ، وتألم لتفرحني ،
وتطلب لنفسها الموت في سبيل حياتي ...

كانت نعم المرأة العظيمة ، وشعلة من الحنان ، وتجسداً لما
يجب ان تكون عليه النساء ، اذ ارتفعت بنبل عاطفتها الى مصاف
الآلهة ، فماتت مرة الا بين ذراعيها ، وهي تهددني بصوتها
المعذوب النبرات ...

وما استيقظت كرة الا والقيتها الى جانب مهجعي تحديق بي
بعينها المتلاذبتين حناناً ، وهي تسألني ان كنت اروم حاجة ؟
... وتلك السنوات السبع التي قضيتها في المستشفى الانكليزي
بدمشق وشبح الموت يرفرف فوق رأسي ويكاد لا يفارقني ، كانت
من اتعس سني حياتها ، اذ لم يعرف خلالها الكرى الى اجفانها من
سبيل ... وكنت في بعض المرات اغافل الملاك وقد سرّني عني
بعض الشيء ، وافتح عيني فألفيتها راكعة تحت قدمي المصلوب ...
تصلي كأنها لم تصل قبلاً ، ومن مقلتيها تنهمر الدموع كالسيل
العرم بلا انقطاع ..

واخيراً نجوت بأعجوبة من شقي القبر ، وقهرت الموت بمعجزة ،

ولم تعد تستوعب ذاكرتي من اطيايف تلك السنوات القوائم الا تلك المشاهد الخالدة من صلواتها وابتهالاتها . ومشهد آخر ظل عالماً بذاكرتي ، محفوراً بأعمالي ، فحين خروجي من المستشفى شد الطبيب على يدي يقول : لقد نجوت من الموت بفضل هذه ... واثار نحوها ...

كان حصادي من تلك السنوات ان اصابني الهزال مدة ، ولكن ما فتئت الصحة ان عاودتني ، وما زالت ملازمتي حتى الآن .
اما حصاها هي ، فقد كان داء عضالاً اصابها .. بيد انها لم تكن لتعييره اهتماماً ، بل صبت جل همها عليّ ، وعلى صحي ، ولا شيء غير ذلك ..

لا ، ليس هذا كل ما قدمته لي فاستحقت عليه الشكر والامتنان وانما هو جزء يسير من فضلها سرده باختصار ..

فقد كانت مدرستي الاولى ، واول من استأصل العجمة من لساني ... وعلمني الاحرف الهجائية ، وهذا ايضاً ليس كل شيء .
بعض الاصدقاء والمعارف يعتبروني موهوباً في كتابة القصة والرواية وحببتهم في ذلك انهم قرأوا لي عشرات من رواياتي ، وبضع مئات من اقصيصي وهي لما تزل بعد في طور المسودة ..
وهنا لا اريد التحدث عن نفسي لأشبع نهم غروري وعنجهيتي ، وانما الحقيقة التي يجب ان تعلن دون زيادة او نقصان ، هي ان مجموعتي القصصية هذه (ليته لم يعد) ، ان هي الا الدفقة الاولى من ذلك السيل العرم ، وقطرة من ذلك الغيث الدافق المحبوس في ادراج مكتبتي في بلدة القامشلي .

فان كان حقاً ما ينعتني به هؤلاء الاصدقاء، فاني مدين بكل
هذه الموهبة لها ، ولها وحدها ، فهي اول من حبّبت الى نفسي
القصة ، وهي اول من تلا على مسامعي الحكاية، فقد كانت محدثة
لبقة، وذات نبرات تسيطر على المشاعر وتلاعب باوتار القلوب ..
كانت تبكي على مآسي ابطال حكاياتها، فتسارع الدموع لتنهمر
من مقلي . وتضحك لنكات بعض اشخاص رواياتها، فأستلقي على
قفاي مقهقها ، وتمر الساعات وحكايتها لم تنته ، فلا اشعر كيف
انقضى الوقت ، او مر الزمن .

واصبحنا اذا افترقنا لحظة احسنا بشوق لا يوصف... شوق
الرضيع الى ذراعي امه .

وما قاربت مرة مشارف منزلنا الا وارتفع صوتي باسمها، فتطل
عليّ من النافذة بابتسامتها المشرقة ، وتهرع لاستقبالي ... كما لو
انها لم ترني من دهر ، فألقي بنفسي بين ذراعيها ... وترتفع
طققة القلب ..

لقد كان حبنا لا موارد فيه ولا خداع ، حباً لا يفقهه
العشاق والمحبون ..

وكان كل املها ان تراني رجلاً بكل معنى الكلمة ، رجلاً
يستطيع ان يحيا بما يجنيه ، وحين تدرجت في مسالك الرجولة ،
وكدت ان احقق امنيّتها، كان قد استفحل بها داء الكبد... الداء
الذي حصده ... من تلك السنوات السبع القاتلات ...

واخيراً ... نضب زيت السراج... وهبت الرياح، فانطفأت
الذباله ، واسدل الستار عن آخر ومضة من شعاعها ، بعد ان

اوصلتني الى ما كانت تصبو اليه نفسها ... اجل لقد ذهبت ،
اقول ذهبت ، ولا اقول ماتت لانها ما تزال تحيا معي !..
فنحن في كل لحظة معاً ، وفي غدواتي وجيئاتي ورحلاتي ترافقني ،
وفي كل ليلة تتراءى لي بأحلامي ، بابتسامتها الصافية ، وعينيها
الساحرتين ، اقص عليها ما اروم الاقدام عليه من مشاريع ،
واشرح لها آمالي ، فتسدي لي النصيح تارة ؛ وتشجعني على المضي
قدماً تارة اخرى ..

وما ذكرت مرة يوم ارتحلها الا وتسارعت الدموع الى مقلتي ،
فقد كان المطر ينهمر يومئذ غزيراً ، غزيراً حين قضت ، وكنا في
مدينة غريبة عن بلدتنا ، وبين اناس غرباء .. وحين ذهبنا لتوديعها
الوداع الاخير ، لم تكن الحفلة تتلاءم ومكانتها ، اذ كانت في
اليوم الذي اعقب موتها ، وكان اليوم ماطرأ ايضاً ...
كنا حفنة من اقرباء واصدقاء ورفقاء ، وسار موكبنا الصغير
الحزين ، وعلى قارعة الطريق يقف احد السابلة متفرجاً ، ويلتفت الى
صديق له قائلاً : من المؤكد انها جنازة امرأة تافهة ؟..
فيهز ذلك برأسه متمتماً : هذا ما اعتقده ...

وتمزق الكلمات صماخ اذني واحاول ان اصيح بهما : لا لم
يصدق حدسكما ، فهي جنازة امرأة عظيمة ، ماتت في مدينة
غريبة عن بلدتها ، وبين اناس ليسوا اهلها ..
غير ان الغصات قطعت نبوات صوتي ، والدموع تسارعت
اكثر واكثر لتنهمر من مقلتي كالسيل الدافق ، فلا احسن الرد ،
او احير او انبس ببنت شفة ، فأعود احدى موكبنا الصغير

وبهما ، وهما يخففان رويداً رويداً من امام ناظري ، بابتعاد
موكبنا وهو يقترب من المقبرة ، فارجع لنفسي اعزياً : غداً
ستعرفان ايها الصعلوكان من تكون هذه التافهة ...

بيد انه على الرغم من انها كانت وما زالت كل شيء في حياتي
اكاد في بعض المرات انساها!.. وذلك حين اكون في حالة نفسية
قلقة مضطربة ، او عندما احس انني على ابواب فشل جديد ...
غير انه على الرغم من مرور ثلاثة اعوام على رحيلها ، فماضحت
مرة او سعدت لحظة ، الا وتذكرتها ... فتختلط قهقهاتي
بدموعي .. وابتساماتي بالآلامي واحزاني .

ومنذ عامين اثنين قررت الزواج ، او قل هكذا احكم عليّ ،
وهكذا اراد الجميع ، جميع اهلي ؛ لاملأ الفراغ الذي احداثته في
بيتنا ، وبعد ستة اشهر من البحث والتنقيت في كل من بيروت
ودمشق وحلب وبعض قرى لبنان ، عدت الى بلدي بحفي حنين ،
اجر اذبال الحبيبة والحمران ، ولم اخجل من ان اذيع وقتئذ من
انني لم اجد ضالتي المشودة ، فتحدث الناس ولغطوا ، وثرثر بعض
اهلي ما طابت لهم الثروة ، وذهب الخيال بالجميع كل مذهب ...
شيء واحد لم يكونوا ليدركوه هو انني كنت ابحت عن
امراة تضارعها في اخلاصها وتقانيها ، في رقتها وعدوبتها ، في
سموها ومناقبها ، في حنوها وحكمتها ، في تصرفها وبعد نظرها ،
كنت ابحت عن امراة مثلها ، ولذا كتب لمشروعي الفشل ...

لانها كانت امراة ، ولا كل النساء ...

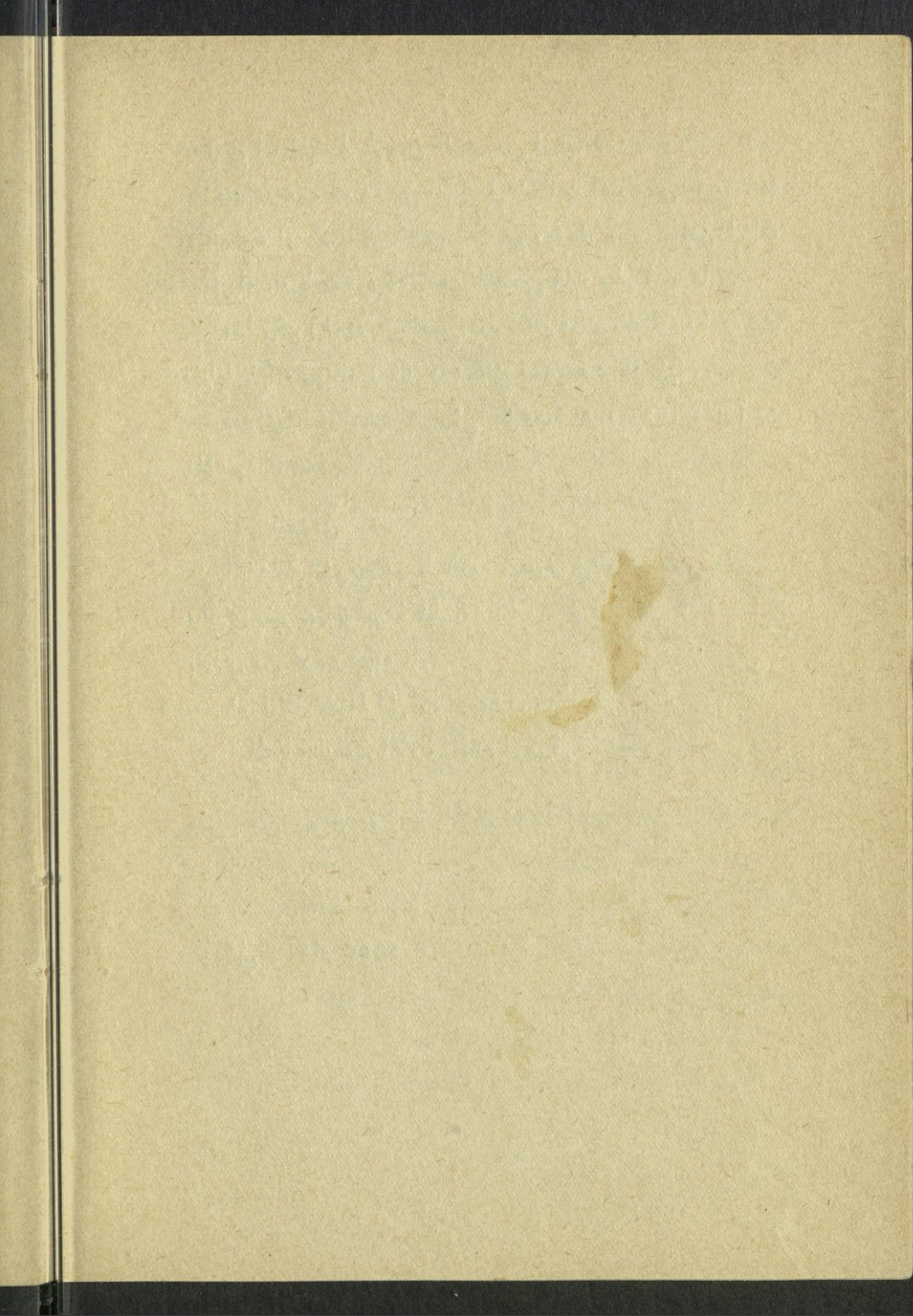
ابعد كل ذلك الحب وكل تلك التضحية والعطاء منها الا

يجدر بي أن أعيد لها البعض اليسير من فضلها ...؟
فقد درجت العادة على أن يجعل الكاتب اهداء شيء من نتاجه
الفكري، أو كتبه إلى أناس يعتز بهم ويفتخر، أو لا يحق لي أن
أجعل اهداء باكرة انتاجي القصصي لها، ولها وحدها ...؟
هذا وقد آليت على نفسي منذ أن وعيت الحياة، وأدركت
فضلها عليّ، تسديد أكثر ما يمكنني تسديده بما لها عليّ ..
فعساي أن اسدد بقروشي الزهيدة هذه جزءاً يسيراً من
ملايينها الذهبية ...

أذن فاهدائي ...
إلى ذلك الضريح البسيط الشبه مهجور في إحدى مقابر حلب ..
والذي يضم جثمان امرأة عظيمة استعبت في حناياها كل ما في
بلادي من محبة وعطاء ...
إلى تلك الشمعة التي كانت تحترق من أجلي ...
إليك يا مدرستي الأولى أقدم أولى ثمرة نتاجي القصصي ...
إلى روح أمي ... أرفع هذا الجهد ...

قامشلي ١ آذار ١٩٥٥

الياس مقدسي الياس



لَيْسَ لَمْ يَعِدْ !

كلما نبج كلب ، اشرأبت اعناقنا ، وتسمرت نظراتنا ،
بقلق مستفز بالنافذة المطلة على الدهليز يداخلنا انه هو ...
لقد عاد ...

... وما ان يطرق سمعنا وقع اقدام تقطع الدهليز جيئة او
ذهوبا ، حتى يقفز احد الصغار يطرف ببصره محملاً في صاحب
الاقدام ، حتى اذا هذأت بولوجها احد البيوت ، او اذا توارى
صداها مبتعدة ، ارتسمت على وجهه علام الحيرة والامتعاض ،
ونمت بصوت حزين هو للبكاء اقرب : لم يكن هو يا اماء ...

اخذ النعاس يداعب اجفان الصغار ، ويعقدها باصابعه اللدنة
يهيها لسحره المجنح والساعة تعلن الحادية عشرة ليلاً ، فسبق
الصغير (عفيف) اخويه الى فراشه بعد ان قطعت الوعود له ،
بأنني ساوقظه حال عودته .

دقت الساعة النصف بعد الحادية عشرة عندما اندس (خالد)

في الفراش الى جانب شقيقه الصغير (عفيف) فبقيت وكبيرهم
سمير تنتظر اوبته بقلتي ...

وامارات الساعة الى النصف بعد الثانية عشرة ، عندما قطعت
الصمت الرائن على الحجره بقولي : سمير قم يا ولدي الى فراشك ..
فهز رأسه نفيماً ، ونقر وهو يقول : كلا لن اذهب بل سأنتظره ..
قلت : عله لن يعود ...

فطفرت دمعتان كبيرتان بين اهدابه وهو يقول باصرار :
اجل ... اجل سيعود ، لقد قال انه سيعود ... لقد وعد ، وقلبي
ايضاً ينبثني بعودته ...

فاغر ورق عيناى بالدموع ، وانا المس هذا الايمان من سمير
بصدق وعود والده ، فحبست دموعي وانا اقول محاولة التخفيف
من حدة حزنه : قد يعود يا ولدي ، ولكن حري بك ان تذهب
الى فراشك لتهدأ قسطاً من الراحة لجسدك المنهوك .

فأحس بأنني احاول تعزيتة بقولي هذا فانهمرت دموعه ، ولم
يجر جواباً ، بل ظل في مكانه يكفكف دمعته ويحدق بالدهليز
من خلال النافذة ...

اعلنت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وسمير بجاني لما
يزل ينتظر اوبته والده فبادرته بقولي : قم يا ولدي الى سريرك
اني اخشى عليك من السهر وقد سطا عليك السهاد الاكول
بكله الثقيل .

... تلكأ كثيراً وتردد أكثر ، حتى استقر رأيه بعد الحاج ،
فذهب واندرس في السرير الى جانب اخويه ، وما هي إلا هنيهة ،

حتى استسلم لنوم عميق كنوم اهل الكهف . في حين ظلت في
جلستي تلك الى جانب النافذة ، سادرة ساهية ، مشتة الفكر ، مستطارة
اللب ، احصي دقائق الساعة ، واقاوم جاهدة هجمات النعاس ، قارة
ينتصر ، واخرى اهزمه منتصرة ، متنبهة كلما علانباح الكلاب في
مدخل الدهليز ..

جاوزت الساعة الثانية ولم يعد ، تبأ له كيف نكت بوعده ،
لقد قال انه سيعود ... واقسم لاخيه انيس على ذلك عند ما التقيا
صباح اليوم وتجاذبا اطراف الحديث ... سيهجر الليلة عشيقته
العابثة لوريس تلك الراقصة اللعوب ... ويعود الي ...

لقد مضى ستة اشهر على هجرانه لي ، ستة اشهر كاملة لم يحاول
خلالها ولو مرة واحدة ان يأتي لزيارة اولاده الابرياء ، فلذات
كبدته ، لقد هجرنا دون اي ذنب اقترفناه او جرم ارتكبناه ..
هجرني ... رغم انني احببته من كل قلبي ، ومن اعماقي ،
وكننت اسهر عليه سهر الام على رضيعها ووهبتة اكثر ما
تستطيع زوجة وفيه ان تهب زوجها من السعادة والهناء ، وكان
بدوره زوجاً مثالياً ، بحيث اصبحت حياتنا الزوجية مضرب
المثل في الحبي ...

ولكن ، اني للقدر الساخر ان يقف مكتوف اليدين حيال
سعادتنا ، اذ قذف بغانية عابثة في طريقه ، كانت حسناء في العقد
الثاني من عمرها ، تتقن ضروب الغرام وبيع اللذة المحرمة ، ولا
غرو ... فهي من فراشات الليل وصائدات الرجال ، تعمل
في احدى الصالات ، وسرعان ما اغوته ، فاذا به يصبح عبداً

طبعاً لها يأتمر بأمرها ، ومنذ ذلك الحين انقلبت حياتنا العائلية رأساً على عقب ، اذ تحول من حمل وديع ، الى رجل فظ شرس الطباع ، واخذ يحتلف الى الصلاة ، يقضي جانباً من ليله بقربها ، ويعود ثلثاً بعد منتصف الليل . ويوم سألته عن سر تأخره ثار في وجهي ، ولطمني وكانت اول لطمة اناها منه في حياتي ، ثم مضى يتوعدني ويعتفني اذا أناعدت ثانية للتدخل في شؤونه الخاصة .. تكرر تأخره ، وتعددت المشاحنات والمشاجرات ؛ وذات ليلة عاد والفجر يكاد يلوح ، وكان مخموراً قد تمتعته السكر فلا يستطيع الوقوف على قدميه ، وفيما اسأله العودة الى محبة العقل والصواب ، ونبذ هذه الطريق الوعرة ، غضب وهاج وارغى وازبد وصب عليّ جام غضبه ، وانهال عليّ لطمات وركلات وقذف في وجهي حمم كلمات مزقت صمخ اذني . فاحسست بالارض تميد تحت قدمي ، ثم راح يربط الدرج وهو ما انفك يقذفني بشتائه . وعاد من حيث اتى دون ان يعير اي اهتمام لاطفاله ، الذين ارتفع بكأؤهم ونحيبهم فضمت صفاري الى صدري نبكي وننتحب معاً ، وكانت اذناي ترددان صدى كلماته الاخيرة :

لن تري وجهي بعد الآن ... لاني لم اعد استطيع الحياة الى جانبك !.. لم اعد احسن الاستمرار في هذا الجحيم المستعر الاوار !..

وكان ذلك آخر عهدي به ، فقد اصبحت لوريس كل شيء في حياته ، بحيث اهل اعماله ، ونسي اقدس واجباته العائلية ...

وما هي الا ايام قلائل حتى بلغني انه جريح في احدى المستشفيات ،
اذ انه اشترك وعشيق لوريس السابق (محمود) في معركة خرج منها
وفي جسمه رضوض وجروح ، فنقل على الاثر الى المستشفى ووقف
العشيق !! ..

وجاء انيس ينبئني بان منيراً يرغب في رؤيتي ورؤية الاولاد ،
فرفضت الذهاب اليه ومواجهته بعد ما حدث بيننا ، وظل بي
انيس يلج ويقنعني ، حتى انصعت اخيراً وذهبت برفقة الصغار ،
وما ان رأنا واحاط الاطفال به وانها لوا عليه لثماً وتقبيلاً ، حتى
انغرو رقت عيناه بالدموع ، ووعدني يومئذ واكد لاولاده ، انه
سيعود الى المنزل عند خروجه من المستشفى ... سيعود كلامي
يرعاهم بعطفه وحنانه .

وبعد اسبوع عاودناه ، وكانت صدمة اقوى من ان تتحملها
اعصابنا ، لقد نكث بوعده وذهب الى عشيقته ليقضي لديها فترة
اللقاهة ، حيث خلاهما الجو بعد ان حكمت المحكمة على محمود
بالسجن مدة ستة اشهر .

وذهبت اليها اطلبه منها واتوصل ان تدعـه لي ، فأساحت
بوجهها عني ، وانكرني هو !! .. فطردتني واطفالي شر طردة ...
وذاث يوم التقى بولديه خالد وسيمير فحاول التهرب منهما ،
بيد انها لا تحقه ، وانبريا يرجوانه ان يعود اليهما ... فقال انه
سيعود ذات يوم ...

بيد انه لم يعد !! ..
حتى كان صباح اليوم ، اذ تعمد شقيقه انيس المرور من امام

حانوته ، فاستوقفه وراح يسأله عنا ، ثم قال منير انه سيتترك الليلة عشيقته لوريس وشأنها ، سيظهر نفسه من اوشاها ويرجع في هذه الليلة ذاتها ...

... وجل ما اخشاه ان ينكث بوعده ، شأن عاداته .

ورنوت احدى بعقري الساعة بعيني المقلتين ، فاذا هما يشيران الى الثالثة صباحاً ، ورغم ذلك ظلت في جلستي تلك انتظر اوبته ، فقد كان شعور مبهم يد اخلي بأنه لا بد من ان يعود ...

اخذتني سنة من النعاس حين كان الليل بهم بان يطوي اذياله والفجر يكاد ان يلوح . واجفلت من نباح الكلاب ، التي اختلط نباحها بدقات الساعة الاربع بعد منتصف الليل . فرحت ارفع السمع ... فقد كان هناك صوت لوقع اقدام رتيبة وثيدة ، باهتة الاصدا ، تقطع الدهليز ، تدنو وتدنو ببطء ، كأنها خطوات شيخ في العقد الثامن من عمره ...

وعلى ضوء مصباح الدهليز الخافت تبينته اوكدت ، لقد كان هو !! اجل ، هو زوجي العزيز منير !! منير ذاته !! لقد عاد !! وإذا بالدموع تتسارع الى مقلتي ... قم صمير ، خالد ، عفيف ، لقد عاد والدم ... هيا انهضوا استفيقوا ..

ولكن ... ما للكلمات لا تطاوعني فتظل حبيسة لا اقوى على تصعيدها ؟

ولكن لا ، لن اوقفهم ، ليقوا نياماً حتى الصباح ... وبحذر وتؤدة هبطت الدرج الى الطابق الارضي ... وضغطت على زر التيار الكهربائي ، فامتألت الردهة والممشى بفيض من

نور ، واسرعت اعالج رتاج الباب الخارجي ، وفتحته له على مصراعيه ،
وحدقت به ...

كان لا يزال يسير مقترباً بخطواته الرتيبة الوئيدة ، وها هو ذا
امامي وجهاً لوجه ...

... ولكن ، علام انت هكذا يا منير اصفر الوجه شاحب
اللون مشعت الشعر ؟ .. لم انت يا زوجي العزيز ساهي النظرات ،
وعيناك غائرتان في بحجريهما ، وجبينك ينضح بالعرق الباسود ؟
لماذا لم تلق يا حبيبي حتى التجمية ، تحية الصباح ؟ ... وشفتاك
علام هما جامدتان باردتان كأنهما ذوب الثلج ؟
اواه لقد عدت ثانية يا زوجي العزيز ...

وعدت انها ل عليه تقبيلاً . اما هو فلم يحرجوا بآ ، بل ظل في مكانه
على عتبة الباب يحديق بي بنظرات بلهاء غريبة ولا ينبس ببنت شفة ،
وكانت غضاريف انفه تعاو وتهبط من اضطراب انفاسه التي لفحت
وجهي ، واذا بالدموع تملأ مقلتيه !

اتبكي يا منير ؟ .. واي داع للعبوات ؟ .. لقد غفرت ، غفرت لك
كل اسماءاتك ، وغفوت عن كل ما اجرمته بحقي وحق الصغار .
وتحركت شفتاه وهمس قائلاً : شكراً ... شكراً ...
واجهد نفسة على النطق ، وأردف متمتماً : اريد ان ارى الاولاد ...
اريد ان اراهم قبل ان ارحل ! .. قبل ..

فقفزت كمن لسعتها افعى رقطاء وقاطعته بلجاجة : ترحل ! ..
ولكن ، الم تقل انك ستعود ... وتبقى بجانبنا الى الابد ؟ ..
ورحت احملي به منتظرة رده ، فاذا بوجهه قد ازداد شحوباً ..

كأنه شمع تذوب تدريجياً ، واجاب بتوسل : اريد ان ارى
الاولاد قبل ان ارحل ... اريد ان اراهم ..!
ولكن ؟ ..

وانهمرت الدموع من مقلتي غزيرة... وتما لكنت نفسي لاسأله
والغصات تقطع نبوات صوتي : انهم نيام ... اولا تصعد لتراهم ؟ ..
اجاب : ليس بامكاني !.. ليس بمقدوري !..
ولكن يا زوجي العزيز ، لم تطأ قدماك بعد عتبة البيت ،
اجئت بعد طول انتظار ولهفة تعلن رحيلك ؟ ..
وهمس قائلاً وقد ازداد صوته خفوتاً : قلت لك اريد ان
اراهم قبل ان ارحل !..
ليكن ما تريد ...

وكفكفت دموعي وانا اصيح بهم باعلى صوتي : سمير ..
خالد ... عفيف ... هيا انهضوا ، انزلوا ... تعالوا .. لقد
عاد والدكم ...

وهتفت بهم مثنى وثلاث ، وما صمتت الا حين سمعت صوت
وقع اقدام سمير وهو يقفز من سريره على ارض الحجرة ويحاول
ان يوقظ اخويه ...
وعدت انظر الية وانا اقول باكية : الآن سيهبطون الدرج ..
انهم في سبيلهم اليك ...

غير انه كان قد ازداد شحوباً ، وكانت ركبته ترجفان
كأنهما قصبان في مهب الريح ، لا تقويان على حمله ، وبحركة
لا شعورية رميت ببصري الى قدميه ، فعتبة الباب ، وجمعت عيناى

وكبرتاً في محجورهما ، فيا هول ما رأيت .. فقد اشرفت عليّ الحقيقة
الرهيبة ، ثم تبعت بصري حتى مدخل الدهليز ، فقد كان يمتد في
اثره خطان و فيعان طويلان من الدماء .. ليستقرا بين قدميه على
عتبة الباب ، بركة من النجيع ..

فظلت في مكاني كتمثال قدّ من حجر ...

في حين كانت الدموع تسيل من مقلي دون انقطاع ..
وامسكت به كيلا يسقط على الارض وتحركت شفتاي ، و اردت
ان اسأله مستوضحة ، بيد ان صراخ الاطفال ارتفع في ذلك الاثناء
وهم يهبطون الدرج فرحين جذلين ...

وفيا انا اسانده ، لامست انا ملي سائلاً حاراً يتدفق من جرح
عميق في ظهره .. ونظرت اليها فاذا هي مخضبة بالدماء ..
فندت عني صرخة داوية مزقت سكون الليل وانا اهتف باكية
ملتاعة : اليّ ... اليّ ...

ونظر اليّ منير ، وتمم بعد جهد قائلاً : لقد ، دفعت ثمن طيشي
وتهوري ... ثمن جرمي الكراء في حقكم .. اذ قتلتني محمودا ..
وكان اول من هبط الدرج فرحاً جذلاً من اولادنا سمير ..
وبادرنى قائلاً : او لم اقل لك يا اماء انه سيعود ... لقد وفي
بوعده فعاد ...

ونظرت اليه من خلال عيني الخضبتين بالدموع ولم اقل شيئاً
او احر جواباً ، في حين ابتسم والده ابتسامة باهتة المعالم ، ولحق
سميراً اخواه واحاطوا بالدم من كل صوب وحسب ، وهم
يرقصون جذلاً ...

وخار ما تبقى من قوى منير فسقط على الأرض ، فذعر الصغار لهذه البادرة غير المنتظرة من والدهم ، وتقلصت ابتساماتهم العريضة ، وتحولت الى نظرات دهشة يشوبها الاستغراب ، ثم رفع منير راسه بصعوبة ، وحدق بالصغار والدموع تسيل من مقلتيه ، وعاد فابتسم لهم ، واجهد نفسه ليرفع ذراعيه ليضمهم الى صدره ... ولكن قواه كانت قد تلاشت ، فتحركت شفتاه واراد ان يقول شيئا ، الا ان الكلمات اختنقت بحسرة الموت ، ثم انتفض انتفاضة واهنة ، واطبق جفنيه ، وهذا واستكان فيه كل شيء حتى انفاسه ...

بيد ان ابتسامته ما زالت مرسمة على شفتيه ...
وهتفت به بكل ما في من قوة : منير منير ...
ولكنه لم يجب ، فقد كان كل شيء قد انتهى !.. ومات !..
وانفجر الصغار باكين ناحبين مرددين : بابا بابا ...
والتفتوا حولي مذعورين ..
ونظر اليّ سمير بعينيه الخضبتين بالدموع وهو يسألني باكياً :
هل مات ابي يا امامه !..?

فهزرت رأسي بالاجاب ، فأحاطوا بجثة والدهم الهامدة ، وانطلق بكاءهم عاصفة عاتية تمزق سكون الليل العميق ، فضمتهم الى صدري ، ونظرت الى سمير ونغممت وانا احاول جهد استطاعي السيطرة على الغصات التي تقطع نبوات صوتي قائلة : اجل .. اجل
لقد بر بوعده فعاد يا بني ، ولكن ليته لم يعد !.. فقد عاد قتيلاً !..

مرضىناك !..

... تسألني لماذا انا متشنج الاعصاب ، ناثو؟ .. لم انا حاقد بهذا
القدر على نظامنا الاجتماعي الفاسد ؟ .. وحائق لعدم وجود تصميم
اقتصادي شامل ؟ .. لك ان تستغرب يا عبد العزيز .. لك ان
ترميني بكل نعوت الهوس والجنون ، اما انا فساظل ناثراً ،
ساصليها منذ اليوم حرباً شعواء ضد هذه الانظمة المهلهلة البالية ،
ساظل كذلك حتى تتحقق في البلاد عدالة اجتماعية مثلى ...
انا اعلم كم هو خطر علي اذا ناديت بهذه الافكار الثورية ... ورغم
ذلك ، فلا .. لا تحاول ان تقلعني عن المناداة بها لأنه واجب مقدس ..
لقد اثرت فضولك يا عبد العزيز ، اذن فمن واجبي ان
اكشف لك السر عن لغز ثورتي هذه المستعرة الاوار غير
المنتظرة ...

كان ذلك في الصباح .. صباح اليوم بالذات حين ولج عيادتي
شيخ عجوز وزوجه وهما يتلكان في سيرهما ، وانفاسهما تتواكض

في صدرهما بما يدل على المسافة الشاسعة التي قطعها سيراً ، وأنبريا
يشرحان لي قصتهما .. لا بل قل مأساتهما واللهات يقطع نبرات
صوتيهما ، والدموع تطفرف من عيني العجوز المسكينة لتسيل بين
أخاديد وجهها المتجمد وهي تحاول عبثاً حبسها :
ان ولدهما الوحيد يعاني سكرات الموت .

وسألت الشيخ عبد الرؤوف : وابن تسكنون ؟.

فتم يقول : في حي « قبر عاتكة » ...

ان الطريق طويلة ، والمسافة شاسعة جداً بين عيادتي والحي
المذكور . واطرقت ساهماً أفكر اذ لم يكن بي حاجة ان أسألها
ممن اتعابي ، او حتى اطلب اليهما ان يوقفا (تاكسي) ليقلني ، فقد
كانت المزق التي يرتديانها خير دليل يفصح عن حالتهما المادية
المدققة ، وواجبي كطبيب ومواطن ان امدلها يد المساعدة .
في حين ظلت نظراتهما متسمة بي حيرى ، ودون ان انبس
ببنت شفة ، جمعت ادواتي الطبية في حقيبتي اليدوية واستقلنا اول
(تاكسي) مرّ بنا ، وأنبرى الشيخ عبد الرؤوف يقص علي جانباً
من حياته البائسة المعذبة ، وكيف انه يعمل خادماً لدى أسرة
مثرية باجر قدره ستون ليرة في الشهر ، وكيف يسومه اسباده
العذاب اصنافاً والواناً . ورغم ذلك فهو صابر على مضض لحاجته
الملحة ...

وما ان توغلنا في حي « قبر عاتكة » حتى اشار الشيخ الى زقاق
ضيق قائلاً : في هذا الزقاق منزلنا . . . ولما تعذر على السيارة
عبوره نقدت سائقها اجرته ورحت اسير مقتفيا اثرهما ، وهما

ما انفكا يدعوان لي بطول العمر ...

كان الزقاق ضيقاً ومظلماً لا تعرف الشمس طريقها اليه . والمنازل متصلة ببعضها بدهليز طويل معتم يقبض النفس . وكلما توغلنا في الزقاق ، كان يحيل اليّ ان الليل يسرع في ارخاء سدوله . وكانت الرطوبة تنفذ الى عظامي ، ورائحة العفونة تزكم انفي ، ونحن لما نزل تغدُ المسير ..

مناظر تقزز النفس ، وروائح تزكم الانوف ، وشيئاً فشيئاً احسست ان انفاسي تضيق في صدري ، وانني اختنق تدريجياً ، وقد اصابني الدوار ، والغشيان بدأ يداعب احشائي ، وخشيت ان اتقيأ ، او ان اقع مغمى عليّ قبل ان اصل الهدف . وتساءلت في سري ، اذ لم يكن باستطاعتي عبور هذا الدهليز كعابر سبيل : ترى كيف يعيش هؤلاء البؤساء وكيف يقضون فيه سحابة أيامهم ؟ ..

: هذا المنزل يادكتور ...

وتنفس الصعداء ورنوت احدق الى حيث اشار الشيخ . انه لم يكن منزلاً بالمعنى الصحيح ، انما كان قبراً كبقية قبور الدهليز ويداخل من يراه انه زريبة تأوي اليها البهائم وليس مأوى يسكنه مواطنون ! ..

: تفضل يادكتور .

وطأطأت برأسي وانا اعبو الباب الى فناء الدار الصغيرة ، وكرة اخرى انخنت هامتي خشية ان يصطدم رأسي بسقف باب الكوخ ... وما ان مست قدمي ارضه واجلت الطرف في ارجائه ، حتى

ارتد بصري خائباً اذ اصطدم بالعقمة ، وعدت احمق من جديد
في اركانها المظلمة . واسرعت العجوز تعالج كوة تحاول فتحها ،
في حين اجفلت من قحة جافة ندت عن زاوية من الكوخ
ارتجت لها جنباته ، ورحلت اجهد نظري كي ارى صاحبها ...
واخيراً استطعت ان اراه بعد ان تعود ناظري على الظلمة ،

وكانت ام العليل قد انتهت من فتح الكوة ..
.. كان العليل هيكلًا عظيمًا ، لا تربطه بالحياة سوى حشاشة
من روح ، اسمر البشرة ضاوي الوجه ، اصفر اللون ، ذا عيني
سوداوين يتوسد فراشاً حشوه كما هو بادٍ من نتوئه وفيجواته
المهترئة بقايا ثيابهم واسماهم ، ويلتحف بساطاً مهلهلاً . واجلت
بصري وانا مازلت في مكاني كتمثال قد من حجر ، تارة فو هذا
المريض البائس ، وطوراً باطراف الكوخ الخالي من كل اسباب
الحياة ، والتي تفوح من جنباته العفونة . وكادت تتمزق نياط قلبي
حزناً واسى على هذه الاسرة البائسة ، واسرعت الدموع الى مقلتي
ابكي هؤلاء الذين يدفنون وهم احياء !..

فظنت (امينة) والدة (سعيد) انني اروم العودة من حيث
أتيت ، فانبرت تعتذر عن فقرهم وازعاجهم اياي بدعوتي هذه ،
وكانهم مجرمون مجقي ، وليس النظام الفاسد هو المجرم
بحقهم !..

كان الهيكل الحي يرسلها بين الفينة والفينة أنة يزحزحها
بصعوبة عن صدره الخائر المهدم ، ويعقبها بقحة جافة تهتز لها
جنبات الكوخ ..

ودنوت منه وانا ما زلت صامتاً . وامتدت يدي تتحسس
الفص العظمي ، وتحركت لأول مرة شفتاي ورحت اطرح اسئلتي
على المريض ، فتتحنج في فراشه ، وهمس ، فجاءني صوته كأنه آت
من كهف سحيق الاغوار :
شعرت يا دكتور منذ عام تقريباً بثقل في صدري لم اعره
انتباها بادی الامر ...

وبتوت عبارة سعيدة سعة جافة مستمرة انتهت ببصقة من لعاب
احمر صبغت منديله القذر ، وتمالك انفاسه جاهداً واردف يتمم :
ثم اخذت اسعل بهدوء سعال خفيفة مقطعة ، بدأت تستدمع
الايام شيئاً فشيئاً ...

ومرة اخرى داهمه السعال .. وبعد برهة وجيزة زاد : وبدأت
اشعر بالعرق البارد يتصبب من جسدي .. وعينايا بدأتاً تدمعان
رغمًا عني وانا اسعل ... واحس بالدوار في رأسي ، وان معولاً
يفتح في صدري غوراً ، وجدران نفسي كنت اسمعها تنهدم ..!
وعادت فانتابته القحة الجافة التي كانت تنتهي حمراء في منديله
واكمل بعد قليل : ثم علمت ، ويا لهول ما علمت !.. ان هذا السعال
ليس بالسعال الديكي ، وانما هو .. داء السل !! وأيقنت ان الموت
ينتظرني لا محالة بالمرصاد ..!

واراد ان يتابع حديثه ولكن الكلمات اختنقت في حنجرتي
والدموع طفرت من مقلتيه ولم يعد بمقدوره الاسترسال ، فأشرت
عليه ان يخلد الى الصمت .
وانفجرت في فمه ببصقة دمًا ، ثم صمت ، الا من القحة .

فانهمكت اهنيء له حقنة (ستربتوميسين) ..

في حين اكملت والدته تقول والدموع تسيل من مقلتيها
دون انقطاع : فعرضناه على طبيب الحي فأشار الى انه مصدور ،
فخشيت ان ينتهي كما انتهى الكثير من ابناء الحي ، وأردنا ان
نحصل له على سرير في احد المستشفيات الحكومية وهي كثيرة .
وعلى الرغم من كثرتها ، فقد ضاقت بوجيدي ، ولم يكن في حوزتنا
المال لارساله الى المصحة في لبنان حيث اشار الطبيب ، فظل
يصارع داءه والداء يصارعه حتى وصل الى ما هو عليه الآن ...
افاقت الام على سرير قفل حقيقي وانا اغلقها بعد ان زرقت
سعيداً بالمصل . ثم ناولت الوصفة الى الشيخ مع ورقة مالية من
فئة الخمس والعشرين ليرة وانا اقول محاولاً الا اجرح شعوره :
ارجو ان تقبلها على سبيل الدين ..

فانكب على يدي يحاول لثمها ، فسحبته ، ثم التفت الى
سعيد قائلاً : ستشفيك هذه الوصفة بعون الله ... وسأعاردك غداً
ان شاء الله ...

وودعتهم وخرجت الى الزقاق ، فلحقني الاب يسألني عن حالة
ولده ، فرحت امني نفسه بالآمال والاحلام الكاذبة ، التي كانت
ستتحقق لو قيض الله لهم قلباً رؤوفاً يمدهم بالمال فيرسل سعيداً
الى لبنان حيث يعود معافى ، ولكن من اين المال وهم على
ما هم عليه من فقر وضنك ؟.

وأخذت اوسع الخطى في الزقاق تلاحقني وتسكاد تقطع انفاسي
الرائحة النتنة الكريهة ، ويمطرني الاب البائس بأسئلته ...

اواه يا عبد العزيز عفوك !.. الشمس غربت والظلام انتشر ،
فلا بأس من ان تتكرم وتضغط على زر الكهرباء فهو الى يسارك .
اراك لا تحرك ساكناً ، هل اهتوت مشاعرك الانسانية بقصتي
هذه ؟.. مهلاً لم آت بعد الى بيت القصيدة حيث سبب ثورتي المسعورة ..
حين عدت الى عيادتي كان في انتظاري بعض المرضى ، فشرعت
بفحصهم ومداواتهم ، وانهمكت في عملي حتى نسيت اوكدت ما
حدث معي في « قبر عاتكة » ... ونبهني جرس الهاتف برنينه ،
وجاءني من الطرف الثاني صوت نسائي عذب النبرات فيه رنة حزن
قائلاً : عيادة الدكتور محمد نصري ؟

اجبتها : اجل هنا عيادة الدكتور محمد نصري وهو ذاته
يتحدث اليك .

قالت ، وقد ازدادت نبرات صوتها حزناً : هاسوسو هانم
ابنة احمد عساف باشا .

سألتها : هل من خدمة يا سوسو هانم ؟

اجابت باكية : الحقني يا دكتور ... العزيز ... ف ..

ي... ف... ي... ن... ا... زع !..

وبتوت الغصات عباراتها ، واختنق صوتها بالبكاء وارتفع
نשיبها ، فققرت كمن مسه سلك كهربائي وقلت بلجاجة : فريد
ينازع !؟ سأحضر حالاً ، ولكني لا اعرف عنوان المنزل
يا سوسو هانم ..

اردفت تقول وهي تحاول جهدها السيطرة على غصاتها : ان
عربتي ستصلك الآن ..

وبسرعة البرق اعددت ادواتي الطبية اللازمة ووضعتها في
حقيقتي اليدوية ، ثم التفت وانا منقبض النفس منفعل الاسارير الى
الزبائن ، واعتذرت منهم وانا اعدهم بانني سأعود بعد نصف ساعة .
وخرجت الى الشارع انتظر السيارة ، وما هي الا هنيهة حتى
اقبلت عربة « كاديلاك » فاخرة ووقفت امام باب العيادة ...

وفيا انا اغوص في مقعدها الاطلسي الوثير تنبعت الى فتي في
الثانية عشرة من عمره تقلص على نفسه في ركن من السيارة
ومسحة من الحزن تكسو محياه فقدم لي نفسه بانه جوجو بك
شقيق سوسو هانم .

وفيا السيارة تنساب بخفة ورشاقة الافهوان على اسفلت شارع
« ابي رمانة » شطر الهدف ، انبرى جوجو بك يتحدث عن شقيقته
سوسو هانم ، وكيف انها تزوجت من احد المهاجرين العرب وسافرت
وزوجها الى اميركا . ثم سرعان ما شب بينها الخلاف ، وانتهيا
الى الطلاق . وكيف ان فيفي ولد في اميركا ، وجلبته معه
بالطائرة وهو لم يبلغ بعد عامه الثاني ! . غير انه منذ ان وطئت
قدماه ارض سوريا وهو طريح الفراش ، على الرغم من انهم
يدلون به كثيرا ويحبونه حتى العبادة .. وعلى الرغم من انهم هياؤا
له كل اسباب الحياة المتوفرة الراقية ...

خادم خاص يشرف على خدمته واخرجه كل صباح الى الحديقة
وتهية حمام فاتر لتحميمه . وطباخة تهيم له اطاييب الاطعمة التي
يشير بها الطبيب ، كشرائح لحم الضأن ، والزبدة ، والدجاج ، وانه

لم يعتد ان يشرب الا ماء (فيشي) ولبناً . وانه ينفق عليه كل شهر قرابة ثلاثمائة ليرة سورية ، ورغم كل هذا وذاك فهو يكاد لا يفارق الفراش ...

: لقد وصلنا يا دكتور .

انقطع جوجو بك عن حديثه حين قال السائق ذلك وهو يضغط على فرامل السيارة ..

كان الهدف فيلا فخمة ، لا بل قصرآ منيفاً من قصور الف ليلة وليلة ، تحيط به حديقة غناء ، فيها بحيرات اصطناعية ، وكل مظاهر البذخ والرفاهية . وتطلعت الى ذلك الصرح الشامخ الذي يلمع رخامه الابيض كالآلي ، تحت وهج الشمس واشعتها العسجدية ... حقاً لو لا انني دعيت لمداواة البيك الصغير فيفي لتهيبت من ان اقتحم هذا الفردوس ، ولخشيت ان انقل الحطى على تلك الطنافس الثمينة حيث غاصت قدماي في السجاد العجمي الفاخر .

ولو لم يتقدمني جوجو بك يدلني على الدرب الذي يجب ان اسلكه ، والدرج الذي يجب ان اتسلقه ، لضعت بين تلك الممرات والرياش واللوحات الزيتية والتماثيل الفنية ..

بيد أن الصمت المهيمن على جوانب القصر ادخل الرعب الى اعماق نفسي وسرت في بدني قشعريرة باردة كنتك التي تسبق الحمى .. حقاً ان البيك العزيز فيفي في حالة خطرة ، ولذا ران الصمت العميق على ارجاء القصر ، اذ لم اسمع ضحكاً او صراخاً ، ولا صخب راديو ، او صوتاً نسائياً .. ولا عراك اطفال ، او نأمة انسان ..

هذه التأملات السريعة فارقتني حين همس جوجو بيك : هذه هي غرفة فيفي ..

وبجذر وتودة ولجنا الغرفة التي يرين على ارجائها السكون . وكانت سوسو هانم في انتظاري على احر من الجمر ، فقدمت لي نفسها ، ورحت احدجها من طرف خفي بنظرة اعجاب ، فقد كانت جميلة فتانة ذات قد مياس سميري وانوثة ثائرة وعينين كلها عذوبة وفتنة ، وقد ضاعفت ومضة الحزن جاذبيتها ، وقدمتي الى زميلين كانا قد سبقاني حسب دعوتهم :

الدكتور فؤاد ابو رعد طبيب الاسرة الخاص ، والدكتور جاك شماس الطبيب .. ال...

وحدثت الدكتور جاك شماس بنظرة تساؤل كمن يقول : ما شأنه ههنا ؟

فاشارت سوسو هانم الى سرير العليل وامتدت اناملها تربح عنه اللعاف وتنكب لتطبع على وجهه قبلة ...

وفجأة بانتي لي الحقيقة التي سمعته في مكاني كتمثال مرمرى ، وداخلى انهم ارادوا بدعوتي هذه السخرية مني فثوت لكرامتي واستشطت غيظاً وانا احس بالدماء تغلي معربة في شراييني كهمهم بركان ثائر . وكاد ينفجر مرجل غضبي ، وارتد ان اقذف في وجوههم قوارص كلماتي . بيد انني حلت بيني وبين غضبي كي لا يطفئ مصباح عقلي فيشعل تفكيري ، ويتساوى في العقل والجنون ، فلا احس ما انا مقدم عليه في ساعة هوس ...

وانتظرت ان ينفجر واضاحكين للمقلب الذي ساقوني اليه ،

غير انهم ظلوا ساكتين واجمين ينظرون بقلق الى انفعالات وجهي
المطلّة من عيني والمقروءة في ملاحبي ، وبجركة عجلي
تناولت حقيبتي لاعود ادراجي وانا ازجر بغضب : ولكن يا
سوسو هانم انا لست طبيب ال... .

فقاطعتني متوددة : اعرف ذلك يا دكتور ولكن يجب ان
تعاون معهما وستنال اجرتك كاملة ، لا بل وزيادة ، سأدفع لك
خمساً وعشرين ليرة .. خمسين !. سأدفع لك المبلغ الذي تريده !.
ولم امالك اعصابي ، فأبعدتها وجوجوبك من طريقي وخرجت
كالسهم من الغرفة ، وهبطت الدرج بسرعة ، ولم اجد نفسي الا
وانا في ممر الحديقة المؤدي الى الباب الخارجي .. .

واقفت من ثورة غصبي على صوت أجش ليس بالغريب عني يهتف بي :
دكتور محمد نصري .. .

فالتفت لأرى الهاتف ، واه لقد كان الشيخ عبد الرؤوف
والد سعيد !.. وما ان اصطدم ناظراي به حتى استحال
ثوري المتأججة الى ذوب الثلج .. وأراد ان يقول شيئاً
لولا وجود الباشا الذي زجره بنظرة ، ولو ان النظرات تقتل لأردته
قتيلاً . وطلب اليه ان يغرب عن وجهه وان لا يعترض ثانية
طريق زوار القصر ، وتحرك ليهزول مسرعاً ، ولكن صرخة
مني اوقفته ، ودنوت منه دون ان اعير غضب الباشا اهتمامي وسألته :

هل ابنت يا عم عبد الرؤوف الدواء وزاولت ارشاداتي ؟
فأجابني متلعشاً : كلا يا دكتور ، فما زالت الوصفة والمال في
حوزتي لكثرة الاعمال في القصر ، ولا

وبتو عبارته وهو يحدق بخوف ووجل في الباشا . ثم تركني
وهرولاً مسرعاً وفرائصه ترتعد فرقاً ، يشيعه الباشا بنظراته
وشتائه القدرة ...

ودنا مني الباشا وهو يضحكني قائلاً : من اين تعرف هذا
الكلب يا دكتور ؟!

- هذا الكلب ؟!

قدفتها شفتاي بثورة ونقمة ، وضمت قبضتي اريد ان ألكمه
بها لكمة تحرسه الى الابد وتعيده الى محجة العقل ، لولا سوسو
هانم التي قفرت في وجهي فجأة ، وعادت تلح عليّ لأعود لمعالجة
فيفي ، فانضم اليها والدها الباشا وأمرني ان اعود ، بيد انني لم
اصغر اليهما ، ولم أعر اذنأ صاغية لشتائهما ، وانما اوقفت
اول تاكسي مر بي والقيت بنفسي في داخله ...

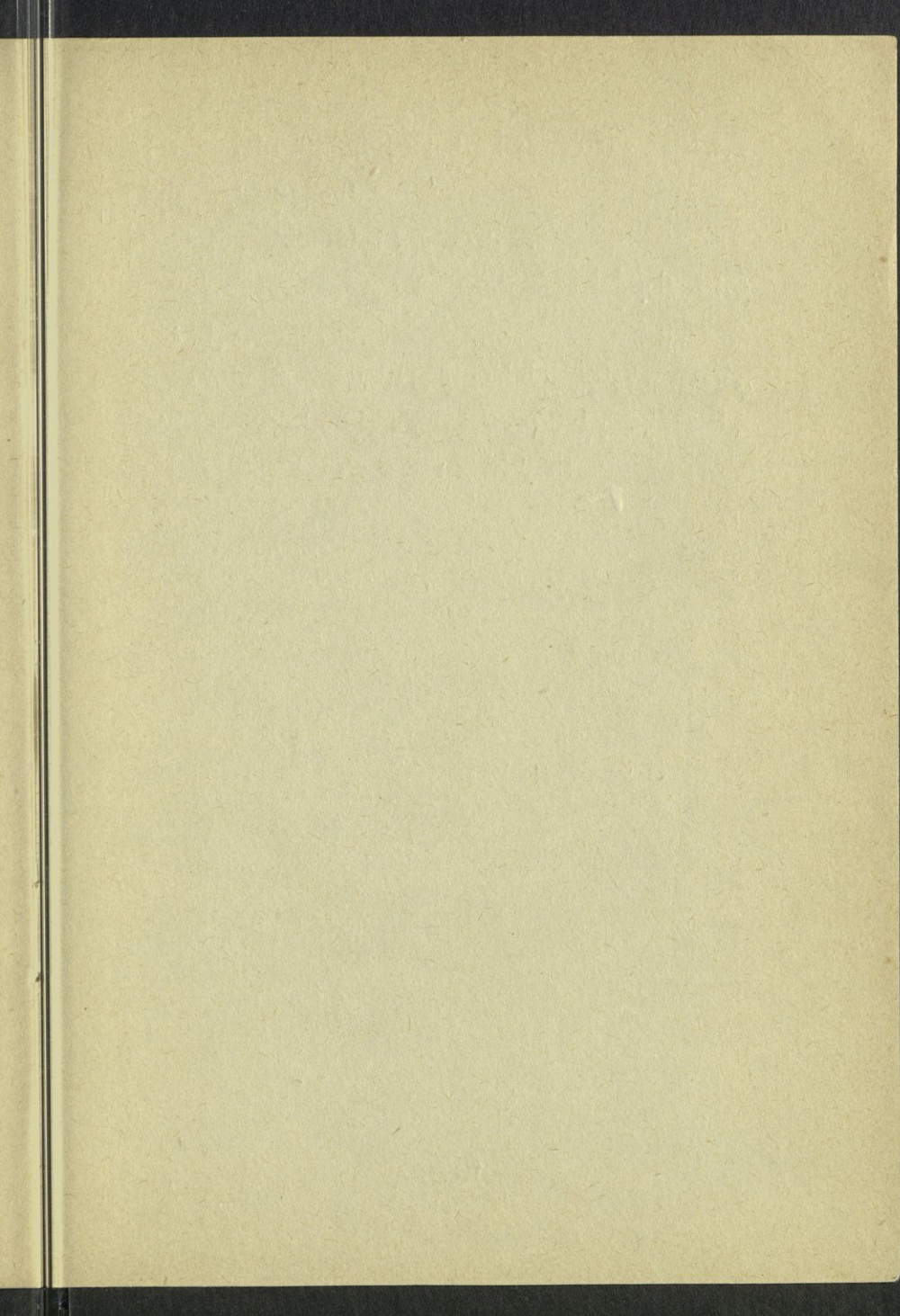
وفيا انا غائص بمقعدي السيارة شطر العيادة شعرت بأن الحقد
والغضب يغليان في اعماق قلبي كالمرجل ، وان ما في اعماقي من نقمة
وثورة قد استحال الى بركان ثائر اود ان اطلقه حمماً ملتهباً ..
عفوك يا عبد العزيز أراك تكاد تتفجر غيظاً! .. قلت لك تمهل ،
وحتماً انك مردد ما قلته منذ برة : ان بلادنا باتت بمسيس الحاجة
الى تصميم اقتصادي شامل يضمن حياة كريمة عزيزة لجميع المواطنين .
هذا طبق ما تريد ان تقوله ؟

ولكن لا ، لم يصدق حدسي ، فاني اراك قد استشطت غيظاً
من جديد وعيناك عادتا تقذفان حمماً! .. او اه عرفت ان في مقلتيك
سؤالاً تريد ان تسألني ... تريد ان تسأل عن موطن الاستغراب

في قصتي هذه التي سيجتلك لسماعها اكثر من نصف ساعة ؟ ..
أليس كذلك بحق ربك ؟ .

اجل .. اجل هذا ما تريد معرفته ..
ولكن قلت لك تمهل ، لا تكن لجوجاً .. فسأخبرك كل شيء
بالتفصيل ..

فان الدكتور جاك شماس ليس الا طبيباً بيطرياً ! .. ومريض
الثاني « اليك الصغير فيفي » كما اعتقدته وسميته ، لم يكن الا كلباً ! ..
.. اجل كلب من فصيلة « الشيان لو » ! ..



قصة من الوسيط الفني



القت الفتاة نظرة على المرأة الكبيرة المثبتة على جدار الغرفة ،
تستطلع موطن الجمال في وجهها وجسدها ، ثم سرعان ما ارتسم
على محياها ابتسامة المنتصر الظافر ، والتفتت الى والدتها تقول بلهجة
يشوبها التحدي :

كيف لا يقبلونني يا اماء وانا املك كل هذه الثروة من الفتنة
المفقودة لديهن جميعاً ، فاين هن مني ؟ .. اين هن من وجهي المتناسق
التقاطيع ، وشعري الفاحم ، وعيني الخضراوين الساحرتين ، وشفتي
الجزاوين ، وعنقي المرمرى ، وصدري الناهد ، وجسدي المياس
السهمري ؟ .. اجيبي اين هن مني ؟ ..

اما الام فلم تنبس ببنت شفة ، فاردفت الفتاة تريد : والى
جانب هذا كله فانا لما اتجاوز بعد عقدي الثاني ، كما وانني اجد
القرأة والكتابة ! . تكلمي يا اماء كيف لا يقبلونني ؟

ومرة أخرى ظلت الام صامته صموت ابي الهول ، واطرقت
برأسها الى الارض تفكر ، فتابعت الفتاة تقول : او لم اخبرك يوم
لاحقني المخرج السينائي الكبير (عزت حمدي) واصر على معرفة
عنواني واسمي .. ليعهد اليّ بدور البطولة في احد افلامه ، ورغم
ذلك تصرين على ان الفشل سيكون مصير محاولاتي ...

تلملت الام في مقعدها ، والقت نظرة فاحصة على وحيدتها :
نظرة فنان عريق في فنه الى كائن جميل وجده ظلاماً مربعاً . وبعد
برهة صمت ران على ارجاء الغرفة ، تحركت شفتاها قائلة : ليس
الجمال يا ابنتي كل شيء في عالم السينما ، فهناك الموهبة والمقدرة ،
إنه من الصعب عليك الوقوف امام الكاميرا !... من
الصعب !..

ونكست الفتاة رأسها لحظة تفتش عن الرد ، وسرعان ما بادرت
والدتها : من قال لك ذلك ؟ !.. فالمسرح ومواجهة الجمهور اصعب
بكثير من مواجهة الكاميرا . او لا تذكرين التمثيليات التي كنا
نقدمها في نهاية كل عام طوال سني الدراسة ؟.. وكنت اقوم باقوى
ادوارها ؟.. بحيث تركت الاكف تدمى من التصفيق حين مثلت
دور جنيفاف ؟.. ولسوف ترين كيف سانجح واحتل الصدارة
في عالم النجوم السينائية ، بحيث اترك نجحات مصري يتحول نورهن
الى نور الجبابب حيال وهج نجمي الساطع !..
واحست الام ان آخر حجة قد اندثرت امام اصرار ابنتها ،
وأخر سهم في جعبتها قد طاش ...

وهذا لأول مرة يحدث بعدمضيّ عامين اثنين من الجدول والمناقشة

بينها . وقد شهد مسرح المazel تمثيليات من هذا النوع وعلى هذا
القرار ، بيد ان الام كانت هي الغالبة في كل مرة ، الا في هذه المرة ...
كسا الوجوم بحيا الام ، واعتمدت رأسها بين كفيها مفكرة
قبل ان تلقي سلاحها معترفة بهزيمتها ..

واحتت الابنة بانتصارها بعد عامين من الصراع ، وان سهمها
لاول مرة قد اصاب الهدف ، فذنت من امها تربت على كتفيها
مخففة وقع وطأة الهزيمة ، وهي تردد : ستبئينن صدق قولي عندما
تسمعين التصفيق الحاد يشق عنان صالة العرض للنجمة الجديدة التي
هي ابنتك ! .. حينئذ ستختالين تيهاً وكبرياء ، وستلاسن هامتك
النجوم حين يشير نساء الحي اليك قائلا : هذه والدة النجمة
السينائية « سهر » التي رفعت رأس « حي الامراء » عالياً .

لا بل انهن لن يعثرن بعد ذلك على اثر لنا ، اذ سننتقل من حي
الامراء الى حي المعادي او الزمالك او الدقي ، وقد نسكن عمارة
الايوبيليا عمارة كبار الفنانين والسينائيين ، كل ذلك حسب
رغبتك وورهن اشارتك ...

ونظرت الى امها فرأت في عينيها نظرة لم تفقه لها معنى .
فخشيت ان يقلت الزمام من يدها ، فاكملت تقول : لقد مللت
يا اماه هذه الحياة الرتيبة الثقيلة الظل ، سننعم في مجبوحة من العيش
الرغيد والحياة الرافلة بالسعادة هناك ، حيث ننسى شظف العيش
وقساوة الحرمان بعدان شربنا كأسيهما حتى الثمالة ! .. لن نخطط الثياب
بعد اليوم لاحد ، بل سيكون عندنا من يخطط لنا الثياب ، وخدم
يأتمرون بأمرنا ! .. ما رأيك يا اماه ؟ .. تكلمي بحق المرحوم

والدي وباركي خطوتي ...

وظلت الام صامئة مفكرة لا تنبس ببنت شفة. فجلست سهير
القرصاء امامها ، وتابعت قائلة : لم لا تتكلمين يا اماه ؟
رفعت الام عينها المثقلتين بالدموع ، وحاولت ان تتكلم ،
بيد ان عبارتها حالت بينها وبين ما تود الافصاح عنه ، وتماثلت
نفسها بعد جهد لتردد : ولكن ، هل تعلمين كم سيكون الثمن ؟! ...
كم سيكون باهظاً ؟!

حدثت سهير والدتها بنظرة استغراب تستوضحها فحوى
كلامها ، وبلفظة بادرتها : الثمن ؟! ... ولكن هم الذين سيدفعون لي
الثمن ، ثمن اتعابي وتمثيلي ... ولن ادفع انا لا مليماً واحداً ..
وغالب الدمع عيني الام على الرغم منها ، فانهمرت دموعها
على وجهها الضامر الشاحب ، ولم تماالك نفسها فانبرت لتتعب في
حين ظلت سهير في مكانها وعلامة الحيرة بادية على محياها ،
وهي ما انفكت تلح قائلة : ماذا جرى يا اماه ؟ ... تكلمي ،
حدثيني ، لماذا تخشين لهذه الدرجة احتوا في التمثيل ؟! ...
تماثلت الام نفسها ، قالت وقد خرج صوتها كأنه
العويل : لأن الجحر الذي لدغني يا ابنتي لا اريده ان
يلسعك !..

صمت الفتاة اذ لم تقفه فحوى هذا الكلام ، فنظرت اليها
« امينه » وهي تكمل : الحقيقة التي اخفيتهما عليك يا ابنتي هي
انني كنت ذات يوم ممثلة ! ..
وصرخت سهير كالللسوعة : كنت بمثلة ؟! ...

فاردفت الام : نعم ، لقد كنت ذات يوم في مثل عمرك الآن ،
وحسناء في روعة جمالك ، كنت امي النفس ان ارى ذاتي على
الشاشة الفضية ، وفعلاً تمكنت وتحقق ما كانت تصبو اليه نفسي ،
اذ اصبحت بمثابة يشار اليها بالبنان . وكان الجميع يحسدني
على مكاني التي تبوأتها ، ويتمنين ان يكن موضعي ... غير اني
وحدي كنت اعرف كم دفعت الثمن ...

وقاطعت سهير والدتها امينه وهي تردد بلهجة وجادل
كانها عثرت على كنز ثمين : احقاً تتكلمين يا امه ؟ .. احقاً كنت
ذات يوم نجمة سينائية ؟ ..

وبلهجة باكية غمغت : اجل ، اجل يا قرة عيني ، انه مر
اخفيته عنك طوال هذه المدة ، وما دمت تصرين على ان تصبهي
بمثلة فلا بأس من ان اقص عليك قصتي بعد ان اقسمت على ان
ادفنها للابد في اعماق صدري . ساقص عليك مأساة حياتي لتعلمي
كم دفعت ثمن طيشي وتهوري ...

واستسلمت لعبواتها تبكي بصمت وهي تفكر ، وكانها تجمع
شتات ذهنها المتلبد ، وتسترجع معلوماتها التي بعثرتها السنوات .
وراح زورق خيالها يبحر عباب بحر الماضي ليستقر عند شاطئه ،
انطلقت من ساحله تقص على ابنتها المأساة :

حدث ذلك حينما كانت السينما الناطقة حديثة العهد في مصر .
لم يكن وقتذاك عدد الاشرطة المنتجة الناطقة بالعربية تتجاوز
اصابع اليد الواحدة . كنت في مثل سنك ، اعيش في كنف
اسرتي الثرية وكان والدي الباشا رحمه الله شديد الحب لي ، يحقق

كل ما استهيه في الحياة ، وفي الوقت ذاته شديد الغيرة عليّ " شأن كل امرأة محافظة . كنت مخطوبة من احد انسابنا « فتحي بك » وكان فتحي يحبني كثيراً ، اما انا فلم اكن اشعر بأي عاطفة تجاهه ...

واثر مشاهدتي لبعض هذه الافلام اغرااني بريق المجد وتلك الهالة النيرة من الشهرة التي تتمتع بها نجمات السينما .. فقرّر رأبي عليّ النزول الى ميدان الفن ، ولكن ، أنيّ ذلك وامرّتي المحافظة عثرة كأداء في طريقي ؟ .. فبحت بامالي واحلامي الى المرحومة والديتي ، فراحت تصحني وتوطيني خطورة الفكرة ، ولكن دون جدوى ...

وفي احدى الامسيات اجتمع شمل اسرتنا فحدثت والدي عما انتويته ، وكانت ثورة مسعورة الاوار ومعركة محترمة لم اصطدم بمنهلها طوال حياتي ... غير ان ذلك لم يردعني عن غيبي ، او يعدني الى محجة العقل والصواب ، بل زادني عناداً واصراراً . فانطويت على ذاتي احلم بما استهيه ، واخيراً بحت بمكنون صدوي الى صديقتي المخلصة « هدى » ، فعرضت عليّ فكرة سرعان ما نفذناها ... وبعد ايام قلائل خرجت من القصر بمحجة الذهاب الى الحياطة ، في حين ذهبت وصديقتي هدى الى الاستديو لاقف امام الكاميرا اجري التجربة ...

وجاءت النتيجة طبق ما كنت اتمناه واحلم به ، ولكن ما العمل ؟ .. كان عليّ ان اختار احد طريقتين : اما المجد واما البقاء في سجن والدي الذهبي ! .. واخيراً انتهيت الى السبيل الذي يخولني

بلوغ الطريق الاول ، اذ هربت من القصر بعد ان تركت رسالة مطولة لأسرتي . وكنت قبلاً ، قد انفقت مع المنتج والخرج ، ووقعت العقد ، وراحت اسرتي تفتش عني في جميع الاستديوهات ولكنها لم تغثر على ظل لي ، اذ كنت محتفية في منزل صديقتي هدى!.. وكان ان صبّ والدي جام غضبه على المسكينة امي ... وبعد شهر من التدريب باشرنا العمل في الفيلم ، وصديقتي تشجعتني ، والجميع يهللون لي ويثنون على مواهبى الفنية ومقدرتي التمثيلية ، وفي تلك الليلة عرفت امياء كثيرة كنت اجهلها ... لقد ...

وخفت الغصات صوت الأم فلم تستطع الاسترسال ، بينما ظلت نظرات سهير متعلقة بها تستعجبها على اتمام ما ابتدأته . وبعد برهة وجيزة من الصمت اردفت ، في حين كانت الدموع تنحدر ببطء على وجنتيها : لقد اقام لنا المنتج في تلك الليلة حفلة ساهرة بمناسبة المباشرة بالفيلم . لا ، لم يدر في خلدي ان وراء الأكمة ما وراءها ، فأخذت احتسي كوؤوس الخمر المتنوعة ألواناً ، فهذه كأس المنتج ، وتلك كأس الخرج ، والثالث للممثل ، و ... حتى غلّت .. ولما عاد اليّ رشدي في اليوم الثاني ..

وراحت الغصات تقطع من جديد نبرات صوتها ، غير انها تمالكت نفسها قائلة : عرفت ، ويا لهول ما عرفت ... لقد دفعت الثمن! .. وكان غالياً جداً!.. لقد افترستني الذئاب! بعد ان حولتني ابنة الحان الى غنيمة باردة ، وكان اول الغيث قطرة ، وسرعان ما انجلي الواقع وهطلت الامطار مع هطول دموعي

التي كنت اذرفها تكفيراً عن خطيئتي كلما وجدت نفسي وحيدة
خالية عن العمل ، بعيدة عن اعين الرقباء ، محاولة ان اغسل
عاري ...

كنت انتقل مرغمة من احضان المخرج الى المنتج فالبطل
فالمصور و ... واذا قاومت نعتوني بانني لا اسايير ركب
الحضارة والمدنية في العالم !! ..

و ذات يوم هربت ، وسرعان ما اقتفوا اثري ، وراحوا
يهددونني بالسجن ان لم انفذ العقد الذي وقعته .

كنت استسلم لهم مرغمة ، وكالاشاة المذبوحة لم اعد اخشى
السلخ ... وما دمت قد فقدت ما تفتخر به كل عذراء ، فلم اعد
اهاب مغبة الامر ...

واخيراً عرض الفيلم ، وكنت قد بلغت درجة لم تبلغها من
قبل أية فنانة مصرية ، وارتفع تصفيق الجمهور ، وتحقق ما كنت
احلم به ، كما تحقق ما لم اكن احلم به يوماً .. فقد كان حاملاً زرعياً ..
حاملاً مخيفاً مرعباً ...

وللمرة الثالثة قطعت الغصات اوتار صوتها ، بيد انها اكملت
بصوت كالعويل : ادركت لأول مرة معنى الشمن ... ثمن
بريق المجذ ، وهالة الشهرة المزيفة ، اذ كنت حاملاً !! ..

اجل لقد حملت سفاحاً من الذئاب الانسانية المقنعة ، وفي الوقت
الذي كان فيه الناس يشيرون اليّ بالبنان معتزين بان عيونهم اكتشفت
بمراي ، كنت انا حائرة خائفة وجلة افكر كيف اخفي
عاري ، كيف استر جرمي ... وقد تحلى عني الجميع ، جميع

الذئاب ...

وفيما كنت لا اصدق متى انعتق من ربة عبودية العقد الذي كان
كالقيد يكبل يديّ وقدميّ ...

كان هناك عقد آخر لبطولة فلم جديد اعطوني اياه لأوقعه ،
فانتابتي نوبة جنون ، وكأني اردت ان انتقم منهم بالعقد ،
فرحت امزقه ارباً ارباً ، وألقيت بالعربون في وجوههم وأنا ابكي
وانتحب ، وأطلقتها كلمة ... وقعت على رؤوسهم وقوع الصاعقة ،
وتركتهم في امكنتهم جامدين لا يحIRON جواباً ..

عدت اخيراً الى اسرتي ، عدت الى والدي تأئبة مستغفرة
باكية ، اغفر وجهي بتراب قدميه ، وأغسلها بدموعي ، غير انه
نبذني نبذ النواة ، وطردني بعد ان انكرني ، فأنكرني معه
الجميع ، حتى والدتي لم تعرفني اذناً صاغية بعد ان اصبحت وصمة
عار في جبهة اسرتي ، وألقاني الخدم في عرض الشارع .

سعت لمقابلة خطيبي فتحي بك الطيب القلب ورحت اتوسل
اليه ليأويني لديه لا كزوجة ، وإنما كخادم .. ولكنه بدوره
اشاح بوجهه عني ... ولم يعد ثمة أمل ... ندمت ، ولكن لات
ساعة مندم ... ورحت اهم في الشوارع طوال الليل واطراف
النهار ، وفي اعماقي ثورة مزجرة .. لا اعلم على من اصبها .

كان هناك طريقان لا ثالث لهما : اما ان اعود الى السينما وإما
ان انتحر ! وفضلت الطريق الثاني غسلاً للعار! .. غير ان والدك
رحمه الله ظهر فجأة في طريقي ليحول بيني وبين الموت ، وعرض عليّ
الزواج ، وقبلت طبعاً الاقتران به ، لم يكن بي حاجة ان أشرح له أماسة

حياتي ، فقد كان يعرف كل شيء عني ، لانه كان خادماً في قصرنا !..
ظلت سهير في جلستها مشدودة متأثرة بجو القصة ، وقد انجلى
واقع امها المير امام عينيها ، فران الصمت على الحجرة الصغيرة ..
وراحت كل منهما تحدق في الثانية ولا تنبس ، ثم نهضت الام
وتوجهت شطر دولاب الثياب العتيق ففتحته ، وأخرجت
صرة صغيرة افرعت محتوياتها ، فظهرت بحلات فنية قديمة ، راحت
تصفحها على مرأى من ابنتها وترها الدعاوة التي كانت تعمل لها .
كانت صور الام على كل غلافاتها ، وأخذت تقرأ لها عن فلمها
الاول والنصر الذي لاقاه ، وعن الجمهور الملهوف الذي راح
يتساءل عن سر احتجاب النجمة السينائية الكبيرة ...

نكست الفتاة رأسها وقدارتسم في عينيها حزن واسى عميقان ، فقد
أحست ان آمالها واحلامها تحطمت دفعة واحدة على صخرة
الحقيقة !. حاولت البكاء ، غير ان دموعها شحت في عينيها ..
مرت الايام ولم تعد سهير تتحدث بموضوع السينما . وكانت
والدتها تحترم حزنها وصمتها ، فلم تذكرها بشيء ، كانتا تقضيان
طوال النهار تحيطان الثياب للنساء الحي .. وتتابعن الايام ،
ولحقتها الشهور ، وأحست سهير ان جرثومة الفن عاودتها بقوة
وبلا استكانة ، فلم تغلح في كبت ما يعتلج في صدرها من آمال
واحلام المجد ، فعادت من جديد الى ما كانت عليه في الماضي ،
وشاهد مسرح الحجرة تمثيليات كثيرة على غرار واحد ، تنتهي
بانخراط الاثنتين في البكاء .. واحتارت الام المسكينة من امر
ابنتها ، فلم تجد بداً من اطلاق الحرية لها ، بعد ان تحول المنزل

الساكن الهادىء إلى جحيم ...

ارتدت سهير اثني واجمل ما تقتنيه من البسة وذهبت لتعود
بعد ساعات قلائل تعلن لامها ان التجربة ستكون
غدا ...

وكان الغد ... وذهبت سهير ، بينما ركعت والدتها تصلي
وتبتهل الى الله ان يكون الفشل مصير وحيدتها . ومرت ساعة ،
وساعات ، وامينة في جلستها تلك تصلي وتبتهل وتذرف الدموع ...
واخيراً عادت سهير في ساعة متأخرة من الليل وهي تحمل النبا
لامها ، وكأن السماء القاسية ابت إلا معاكسة الام البائسة ، اذ
نجحت سهير بالتجربة نجاحاً باهراً !! ..

وكانت صدمة اللام ، وفي تلك الليلة لم يعرف الكرى من
سبيل الى اجفانها ...

سهير تحلم بالمجد والشهرة والثراء ، والام تحلم بحلم مرعب مخيف
اقض مضجعها ، وظللتا تتقلبان في فراشهما حتى مطلع الفجر ..
وفي اليوم الثاني ، ذهبت سهير ولم تعد ، ومرّ يوم وثالث ،
وبعدها رجعت ترف البشرى لوالدتها وتشرح لها دورها في الفيلم
الذي ستمثله ... ثم ذهبت في اليوم ذاته ، ومرّ اسبوع ،
واسبوعان ، ولم تعد سهير .

ظلت امينة مشتتة ، مستطارة اللب على مصير ابنتها ،
لا تدري الى اين تذهب للبحث عنها . وخشيت ان هي أفشت
السرحى الى اقرب الناس اليها ، « ام علي » صاحبة المنزل ، مغبة
الفضيحة ! .. واخذت ترد على اسئلة الجيران والزبائن المتكررة

بقولها : لقد اوسلتها الى خالتها في الاسكندرية .

وطيبة قلوب اهاالي الحي انطلت عليهم الاكذوبة .

وفي نهاية الأسبوع الثالث حمل اليها موزع البريد مغلفاً كبيراً وراح يستدل بصيبة الحي حتى توصل الى منزل ام سهير ، وكان قد تجمهر في اثره نفر منهم ، وعندما اعطاها المغلف وطلب اليها ان توقيع على السجل شارة الاستلام ، كانت علائم الاستغراب ترتسم على وجهها ووجه جارتها «ام علي» وجميع صيبة الحي ، لانها المرة الاولى التي تأتي فيها لام سهير رسالة منذ ان قطنت «حي الامراء» لثمانية عشر عاماً ، وفضت المغلف الكبير ، فراعها ان وجدت فيه مجلة فنيّة مصورة وعلى غلافها صورة ... راحت وجارتها وصيبة الحي يتأملون الصورة ، وانفرجت شفتاها قائلة باستغراب : سهير رسم سهير ...!!

وتقرزت نفسها لمرآها ، والتقط احد الصبيان المجلة من بين اناملها ، وراح وصحبه يحملقون برسم سهير باستغراب ، وكانت بالمغلف ورقة مالية تناولتها امينة والقت عليها نظرة باردة ، على الرغم من انها كانت بمئة جنيه . وراحت الجارة ام علي تملأ الحي بالتهليل والزغردة ، في حين انبوت امينة تتلو الرسالة ، بيد ان الحروف والكلمات والاسطر امتزج بعضها ببعض دون ان تحمل لذهنها المتلبد الشرود اي معنى .

وانبرى صيبة الحي يرقصون جذلين فرحين ، لان واحدة من بنات الحي اصبحت نجمة سينائية .

سرى الحُب في حي الأمراء سريان النار في الهشيم ، وراحت كل واحدة تحب جارتها جذلة فرحة بما انعم المولى على أم سهير من نعمة عظيمة ، فمن قائلة : لقد اصبحت سهير نجمة سينائية يشار اليها بالبنان ، ومن قائلات : وتسكن الآن حي المعادي ، وانما ارسلت رسالة مطولة الى امها وفيها تشرح سبب تغيبها عن المنزل وبالرسالة ورقة مالية بمبلغ كبير... تصوروا ، بمئة جنيه... واخذ النساء يزرن امينة زرافات ووحدانا ، وهن يرددن اجمل آيات التهنية . ومنهن من راحت تزغرد مبتهجة وهي تدخل الحجرة . ورحن جميعاً يطالبن برؤية سهير ، ولكن ابن سهير الآن؟ لقد كانت ابعد من الجوزاء عنهن ، اذ كانت تنتقل بين ايدي الاخصائيين ليحلوا عنها الصدا ويدربوها للمشول امام الكاميرا ! . ظل الوجوم يكسو ملامح الام ، ولكنها على الرغم منها راحت تسايضيو فها فتنتزع الكلمات انتزاعاً من صدرها . كانت عبراتها تغالبها ، غير انها كانت تغلبها لتتركها حبيسة ، وتضاعفت دهشة الجميع كيف لا تبتهج وقد تبوات وابنتها هذا المرکز العظيم ؟ ..

وما ان خلت الحجرة من آخر مهنته حتى نهضت امينة بتناقل تودعها ، واحكمت من خلفها الباب بالمنزلاج . مشت في الحجرة تجر خطاها جرأ ، كأنها تمشي وراء نعش عزيز ، والنقطت المجلة بانامل مضطربة والقت نظرة فاحصة على صورة ابنتها ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، ودست اناملها في ثنايا ثيابها واخرجت الورقة المالية وراحت تحدها وعبراتها

تتراقص بين اهدابها . ولم تمالك اعصابها . وسرعان ما تهاكت على
اول مقعد في الحجرة في شبه غيبوبة ، منهوكة القوى ، وقد هد
كاهلها الحزن العميق والمجهود النفسي القتال ، والقت برأسها على
ساعديها وانخرطت تبكي وتنتحب . وكلها حدثت في صورة
ابنتها ارتفع نحيبها ونشيجها . وبثاقل رفعت رأسها ، وبنظرات
زائفة اجالتها على جدار الحجرة ، وارتكزت اخيراً على رسم
صغير ثبت في صدر الغرفة لابنتها سهير يوم كانت طفلة ، وقد
ارتسمت على شفيتها ابتسامة الطفولة البريئة . ابتسامة لا تمت
لابتسامة المجلة بصلة . فقد كانت كنسفات فجر من ايام الربيع ،
فعادت لتحدج صورة الغلاف من خلال عينيها اللتين تسبحان في
لجة من الدموع ، واخذت تقارن بين هذه وتلك ، واتسعت
عيناها في محجرتها اذ رأت في ابتسامة غلاف المجلة ابتسامة غانية
لعوب ، لا بل خيل اليها ان ابنتها قد تحولت الى عابثة ماجنة ،
الى شيطانة مريدة ، ابنتها العذراء الطاهرة !..

وتحركات اناملها في عصبية تمزق المجلة نتفاً نتفاً ، وفتحت النافذة
على مصراعيها والقت بها الى عرض الشارع !.

نظرت الى الورقة المالية وخيل اليها بأنها تصيح في وجهها
انني ثمن ابنتك ، وشعرت ان الورقة تلذع قبضتها ، لا بل خيل
اليها انها قد تحولت الى افعى رقطاء تحاول ان تعقصها وهي
تصيح بها : انني ثمن ابنتك !..

فكورتها بين اناملها ويجنون القت بها في الموقد وسرعان ما
التهمتها النيران ، ومدت يدها تنتزع رسم ابنتها من على الجدار

لتضمه الى صدرها برفق وحنان كما كانت تضم سهير آ يوم كانت طفلة
وارتفع بكأؤها الجارح الحزين رائية ابنتها مرددة : رحمك الله
يا سهير .. لقد ماتت سهير ..

وتناهى صوت بكائها ونشيجها الى جارتها « ام علي » ، فاسرعت
الخطى مستغربة ، وراعاها ان وجدت الباب موصداً من الداخل
فاخذت تقرعه وهي تنادي ام سهير لتستطلع جلية الامر ،
وتماكنت امينة نفسها ورفعت رأسها بصعوبة من فوق صورة
ابنتها وهي تحاول جهدها السيطرة على غصاتها التي تبتلع صوتها ،
وبادرت تجيب : كلا يا ام علي .. ليس بي حاجة ... ولا أشكو
ألماً ، دعيني بحق السماء ، فان العمل الجاهد هد كاهلي ، والكري
اثقل اجفائي ، وانا بحاجة الى الراحة .

وما ان سمعت وقع اقدامها تبتعد حتى استسلمت من جديد
الى عبراتها ، وراحت تفعل بدموعها رسم ابنتها .

ومضت الايام وعادت امينة الى حياتها الاولى تخطط الثياب
لنسوة الحي طوال النهار واطراف الليل ، كان العمل الجاهد
يستغرق كل اوقاتها فلم تعد كالماضي فرحة مبتهجة نقص على زبائنها
اقاصيصها الساخرة الباعثة للبهجة في نفوسهن ، انما كانت تشتغل في صمت .
كانت سهير تقوم بزيارة والدتها في فترات متقطعة لتطمئن على
صحتها ، بيد انها لم تكن لتنام لديها إنما كانت تنام في الخارج
فمضي ايامها ولياليها متنقلة من استوديو الى آخر ، ومن مجد فني
جديد الى نصر باهر ...

ومن حفلة صاحبة حمراء، الى حفلة رافصة، ومن قصر في المعادي، الى فيلا في الزمالك، الى بناية في الدقي، الى شقة في عمارة الايموبيليا، حسب عملها في الأفلام ونزولاً عند رغبة المنتجين واهواء المخرجين والممثلين ...

وفي زياراتها كثيراً ما كانت تنفج والدتها بعض الاوراق النقدية ذات الفئات الكبيرة غير ان امينة كانت ترددها ساكرة، كما ردت ورفضت ان تتبع ابنتها وتسكن معها في الفيلا التي تسكنها بالزمالك .

لم تعد تعرف الابتسامة سبيلها الى شفتي امينة، وكان الشحوب والشيخوخة المبكرة يحتلان وجهها بسرعة وكلما ذكر والها سهرراً اسرعت العبرات الى مقلتيها تنذر بالانهار .

وذات مرة طالت غيبة سهر على امها، وزارتها بعد شهرين، وانبرت تعتذر لسبب اطالة تغيبها معللة ذلك بأن العمل في الفيلم الجديد يأخذ كل اوقاتها، اما الأم فظلت صامئة تحديقها بعينين دامعتين ولا تنبس، وسرعان ما قامت معتذرة بأن لها موعداً مع مخرج اميركي للسفر الى هوليود !

وما ان خرجت وابتعدت سيارتها (الكاديلك) الفخمة، حتى دخلت «ام علي» فرحة على امينة لتهنئتها بزيارة ابنتها، غير انها وقفت في مكانها جامدة مستغربة كتمثال قد من حجر، اذ الفتها تضم بين اناملها صورة ابنتها يوم كانت طفلة وقد انكبت عليها تقبلها وهي تبكي وتنتحب، فاستولى عليها العجب وسألته: أتبكين يا امينة وقد اصبحت ابنتك نجمة سينائية ملء الاسماع والانظار في طول

العالم العربي وعرضه !!.

ورفعت امينة رأسها وحذبت جارتها بعينين التمتع فيها
العذاب المذيب ، والدموع كانت قد اكتنزت مثقلة اهدابها غير انها
ظلت صامئة وهي تحذجها بنظرة لم تفقه هذه الاخيرة لها معنى ،
وتحركت شفتاها وتمتمت وكأنها ام ثكلى ترثي وحيدها الذي اوري
الثرى ، وخرج صوتها قطعة مجسمة من الحزن :

سهير ؟ ... سهير ليست ابنتي !! لقد ماتت سهير منذ امد
بعيد !! منذ ان اصبحت نجمة سينائية ... ماتت يوم دفعت عن
طيبة خاطر ... الثمن ...

وخنقت الغصات صوتها وراحت الدموع تنهمر من مقلتيها
بخطين عريضين على وجنتيها الشاحبتين ، ليختفيا تحت ثوبها العتيق
الفضفاض ، وظلت «ام علي» في وقفنها تلك تنظر الى امينة كالبلهاء ..
اذ لم يشف جوابها منها الغليل ، ولم تفهم لكلامها معنى ، بل
ضاغف ردها حيرتها وفضولها ...

وكل ما عرفه اهالي «حي الامراء» بعد ذلك ، ان «ام علي»
تمكنت بعد جهد من دخول حجرة ام سهير فراعاها ان وجدتها رغم
انتصاف النهار ما تزال نائمة ... فدنت منها وراحت تحاول ان
توقظها ، فراعاها ان وجدت جسدها بارداً برود الثلج !! ..
واخيراً ادركت الحقيقة ، اذ كانت امينة جثة هامدة لا اثر
فيها للحياة !!. وارتفع صراخها تطلب النجدة ، وسرعان ما امتلأت
الحجرة بنسوة الحي ...

... الشيء الذي ادهش الجميع ان يد المرحومة امينة
الموضوعة فوق قلبها مباشرة ، كانت قد تحجرت على قطعة صغيرة
من الكرتون ، وتمكنوا بعد جهد من فتحها فلما تبينوا ما فيها ،
وجدوها صورة لسهير يوم كانت طفلة صغيرة !!

المعزوق في الحياة

ارتفع صوت ديك في دجى ذلك الليل العميق من جانب الكوخ ، يعلن عن مولد فجر جديد ، وكانت زخات الهمى تنقر زجاج كوة الكوخ نقرأً رفيقاً يحدث وقعها لحناً موسيقياً عذباً ، وهواء الشتاء الارعن كان يخرق شقوق الباب كهدير الامواج يحمل الزمهرير لمن فيه .. ومن بعيد ، كانت الكلاب تنبح نباحاً متقطعاً ، ثم تعود فتوكن الى الصمت ، فيشمل السكون حي « البشريّة » الهاجع في بلدة القامشلي ..

... ثناء عباس خضر في تكاسل وهو يلقي نظرة من خلال الكوة الصغيرة الى الخارج ، بيد ان بصره ارتد خائباً اذ اصطدم بكثافة الظلام ، فتنحنج وانحنى يشعل فتيلة مصباح الغاز ، وما انتشر ضوءه الباهت المخنوق ، حتى اجال الطرف محملاً بعينه اليتمية في ارجاء كوخه العتيق الذي تكاد جدرانها تتصافح لضيقه فالقى اطفاله مبعثرين فوق البساط البالي المفروش بأرض الكوخ .

النعص منهم يلتحف غطاءً سميكاً ، والآخرون تدحرجوا بعيداً
عن البساط والغطاء ، وكان ظلمهم يرتقي على الحائط القديم كالخاء
قبيحاً يرتجف بارتجاف الذبالة ، وكانت الرطوبة ، تنبعث من أرجاء
الكوخ فتسري قشعريرة في جسده ..

ودنا من زوجته يوقظها ، فهمست وهي تتنأب بتراح : ان
الوقت لم يحن بعد ، والليل لما يتجاوز منتصفه ...
فنهزها وهو يجيئها : اجل لقد حان الوقت ... ت ...

وندت عن عباس قجة جافة ، قطعت عليه حديثه فأخذ يسعل
ويصق وهو يمسك قفص صدره بكلتا يديه ، وتما لك انقاسه
المتراكضة وادف يقول : يجب ان يكون كل شيء قد انتهى
قبيل الفجر !.

وانصاعت اليه صاغرة ، وقامت توقظ ابنها الكبير « عزو »
البالغ الثانية عشرة من عمره ، في حين انهك عباس بارتداء مزقه
البالية ، يحكمها حول جسمه الهزيل ، وهو يحوقل ويبسمل في
سره ، وبين الفينة والاخرى تعاوده نوبة السعال الجافة ، وارتفع
في تلك الاثناء خوار بقرة من جانب الكوخ ، فتبسم وهو يشعل
فتيلة الفانوس ، وحمله يميناه وفتح الباب على مصراعيه فنفجت
رياح الشتاء الباردة وجهه ، ووجه ولده عزو الذي كان قد
استوى مذعوراً في فراشه وهو يحارل جهده سدى ان يرفع جفنيه
عن جفنيه .

اقترب عباس من بقرته يربت على ظهرها متحمساً بانامله موطن
السمنة فيها ، ولحقه عزو بعد ان ارندى ثيابه فجعل وثاقها ، فتناول

منه عباس بيده اليمنى وفي يسراه امسك الفانوس وراح يسحبها
بأثره وابنه من خلفه يدفعها وهي تقاوم كأنها تدرك المصير الذي
تقاد له ...

كانت الطريق طويلة وعرة غير مرصوفة ، وكثيراً ما اعتزلت
سبيلها برك مياه المطر المتجمعة ، والاحوال اللزجة كانت تعلق
باحذيتها فتثقلها . وزخات المطر تتساقط على وجهيها فيجمدها
الزمهري فيحسان كأنها ذوب الثلج ، فتسرى قشعريرة في جسدتها ،
وهما لا يزالان يغدان المسير شطر الهدف ، والبقرة تقاوم ، والرعء
يقصف والبرق يبهر اعينها ، والكلاب من بعيد تنبح ، والديكة
تعلن اقتراب الفجر ...

وتحتاج عباس بين الآونة والأخرى عاصفة من السعال الحاد ،
فتظفر الدموع من عينيه ، ويحس بلحيته الكثنة الطويلة التي لم تمر
عليها موسى الخلاقة منذ اشهر ثقلاً بغيضاً ، وحذاؤه يؤله وهو
يلكز بمساميره القاسية الحادة قدميه العاريتين ، ويقف واضعاً
الفانوس على الأرض ليؤم معطفه الرث كي لا يتسرب الزمهرير الى
جسمه المريض ، ويلتفت يحث ولده عزوكلها تباطأت البقرة في
سيرها .. وتتواقص امام عينيه احلام متنوعة ، وهي عادة تتمكن
منه كلما احس ان الطريق طويلة ...

... سيحمل اليوم لحم البقرة ويطوف به ارجاء سوق القامشلي
جيتة وذووباً ، منادياً جرياً على عادته لفقدان حانوت يتعاطى فيه
بيع اللحم كبقية الجزارين ، وسيظفر ولا شك بربح لم يحنه من
قبل ، وسيشبع اطفاله الجياع شواء لذيذاً لم تذوقه افواههم منذ

امد بعيد ..

وقفزت امام ناظره حالته البائسة وكيف تعاني اسرته شظف العيش وتبيت سواد الليالي على الطوى ، فهو جزار فاشل لا يعرف النجاح اليه من سبيل ، فقد تعاون عليه النحس وفقدان المال فلم يعد بمستطاعه ابتياع المواشي وذبحها ، بيد ان النحس فارقه الى حين فتم جمع في حوزته بعد جهد وتقتير مائة ليرة ... اجل مائة ليرة كاملة هي حصيلة ايام قاسية جمعها ... نصف ليرة من هنا ، وربع ليرة من هناك حتى استطاع ان يوفر هذا الرأسمال الذي يرجو ان يكون فاتحة خير وبداية عهد جديد ...

وتقطعت افكاره حين قفز في وجهه كلب شرس ، بيد انه لم يعر نباحه اهتماماً ، بل انبرى يهذى من روعه عزو والبقرة .. وعاد يسوقها من جديد ، وعزو يدفعها ، وتعود ذاكرة عباس بدورها تعمل فتتراكض امام عينيه وهو في حالته تلك صور الفقر الذي اصبح له صنواً لا يفارقه في خضم الحياة ، وتحمله احلامه الى ماضيه البعيد ... البعيد ، يوم كان عزباً ...

... لم تكن حالته كذلك قبل اقترانه « بفظوم » ، بل كان يرتع في مجبوحة نسبية من العيش الرغيد والصحة الجيدة وكان يملك آنذاك حانوتاً يتعاطى فيه الجزارة حتى زفت اليه ، فرافقه النحس منذ ذلك الحين ، وازدادت عراه توثقاً حين انهال عليه الاطفال ، ففي كل عام جديد كانت تنجب له « فظوم » نكبة جديدة ، حتى اصبح لديه من الاطفال ما تنوء تحت عبء نفقاتهم اسرة ثرية ، وعليه ان يعمل سبعة بطون شرهة كلها تطالبه بجاجاتها

من الطعام دون ان يستطيع أي منها ان يأتي عملاً يذكر ، ما عدا زوجته التي تغسل ثياب بعض البيوتات كلما سبحت لها الفرصة وترك لها أطفالها متسعاً من الوقت . كما ان كبير اطفاله « عزو » بات يساعده في عمله منذ عام وبعض العام ، غير ان مساعدتها لم تكن لتغني عن جوع ، لذا رتعت أسرته في فقر دائم وما يجنيه لا يكاد يسد اود بعض حاجاتها ...

وكرة اخرى انقطعت عليه افكاره ، حين اصطدم بصره بضوء كالشهاب لسيارة عجلى فيها بعض السكارى العائدين من الحانات ، وكانوا يتصايحون متغنين متضاحكين هازئين بالحياة . فتطايرت عليه من جراء سرعتها الجنونية الاوحال ملوثة اسماله ، ونفرت البقرة تريد اللوذ بالفرار ، وتقلص عزو على نفسه كتلة من الاعصاب الوجلة ، وثار عباس حائقاً وانفجرت من فمه الشتائم ، راح يصبها عليهم كالسيل العرم ، اما السيارة فقد اكملت سيرها بسرعتها الجنونية ، وضحكات من فيها تتعالى داوية هدارة ساخرة من عباس ومن ثورته المسعورة .

وعاد الهدوء اليه ، فأخذ يجر البقرة من المقود ، وابنه يدفعها ، وزخات المطر تتساقط ، والبوك تعترض سبيله ، والكلاب تنبح ، والسعال يعاوده ، وصدره يؤلمه ، ويقف ليصلح معطفه ...

انه لا يعرف سبباً معقولاً لهذا السعال الذي تمكن منه منذ عامين . ولا كم عاجلته زوجه ببعض الأدوية التي اقترحها عليه الجيران ، غير ان السعال لم تخف حدته ، ولم تجد العقاقير الموصوفة

فتيلاً ولربما زادته مرضاً ، كما كانت الأدوية التي اقترحها الجيران
على زوجه سبباً لأن يجبو نور عينه اليمنى ، ونذبه على صوت ولده
يقول : لقد ادركنا المسلخ يا ابتاه ...

التي نظرة في ارجائه فالفاه خالياً من الجزارين ، فارتسمت
على شفتيه ابتسامة من ادرك الهدف ، وتنفس الصعداء وهو يضع
الفانوس جانباً ، وشد وثاق البقرة بالانشوطة وجرت بينهما وبينها
معركة استطاع بعدها ان يرميها ارضا ، فأجرى عباس مديته على
عنقها فتفجر الدم كحجم بركان ثائر وتطير على زجاج الفانوس
فتحطم وتناثر كالشظايا ، فتجهم وجهه وكادت شفتاه ان تتحركا
بشثيمة ، غير انه تبسم متفائلاً وهو يتمم قائلاً : انكسر الشر ..
وارتفع في تلك الاثناء صوت المؤذن يدعو المؤمنين الى
صلاة الفجر ، فراح عباس يحمدل ويبسمل وأحس بشعور خفي
يدخله بأن الشر قد انكسر ، والنحس سيفارقه الى الأبد ،
فسرت الفرحة في اعماقه ، وشرع يسلم البقرة بتأن بعد ان اطفأت
الرياح الذبالة ، واجتاحت موجة من النشوة فهو يحلم بالسعادة
لا يل يوقن انها ستدركه هذا اليوم بالذات ، حين يحمل قطع
لحمها يبيعها في السوق ، وسيجني ارباحاً وفيرة قد تتجاوز المائة
والخمسين ليوة ، المائة ... ستصبح مائة وخمسين ، فقد استطاع ان
يفر بصاحبها الريفى الساذج فابتاعها بكل ثروته ، وسحبها جذلاً
الى الكوخ يزف البشرى لمن فيه فأحاط بها اطفاله يرقصون فرحين
جذلين ...

- صباح الخير عمو عباس ..

ورفع عباس رأسه يحدق بهذا الذي قرأه السلام فألفاه الجلواز
« كامل » القيم على الذبح ، وكان قد انتهى من سلخها والفجر لما
يدركه بعد ، وما هي إلا برهة وجيزة حتى حضر الجاني ،
فألجزارون ، وعباس منهمك بتنظيف احشاء البقرة ، واقبل اذ ذاك
الطبيب البيطري فامتثل عباس بين يديه في خشوع يعلن ان كل
شيء قد انتهى .

دنا الطبيب من البقرة وفي يده المدية يفحصها ، وبقي عباس
وابنه يراقبانه ، وقد تراكضت انفاسهما ، وما كاد يغرز المدية في
فخذها حتى قفزت من لهما السمين يرقات (التريشينوز) !! ونظر
الى عباس وهو يقول : يجب ان تحرق البقرة فوراً لانها مصابة
بأخطر دودة تحمل الوباء للانسان !!

... وقعت كلمات الطبيب على عباس وقوع الصاعقة ، واحس
بالارض تمور من تحت قدميه ، وبأحلامه العذاب دفعة واحدة
تتحطم ، وكأن النحس ابقى ان يفارقه ، وضجت السماء آنذاك
بالرعود كأنها احتجاج على قرار الطبيب ، وانهمر الغيث كالسيل
الدافق ، ونفرت الكلاب تنبح وجلة والطبيب منهمك في
تجزئتها وتهميتها للتلف حرقاً في حين انبرى عباس يتوسل متضرعاً
اليه كي لا يحرقها ، بل ليتوكها تفتاتها اسرته البائسة ، فلم يعره
اذناً صاغية او يرق قلبه لبكاء وعويل عزو ، وكالتجبول ركض
عباس يستنجد بالموظفين كي يساعده فيحولا دون حرقها ، غير ان
نصيبها من الطبيب لم يكن خيراً من نصيب عباس ، وانما امر
الجلواز كامل ليحملها الى برميل التلف ...!

وحملت البقرة الى البرميل في حين بقي عباس في مكانه لا يبدي
حراكاً ، بل راح يودع بقرته محط آماله واحلامه بنظرة ملؤها
الحزن ، ملؤها الأسى ، وكأنه ام ثكلي تودع جوف الثرى وحيدها ،
وارتفع بكاء غزو عاصفة اقوى من العاصفة .

وكان المؤذن لا يزال يؤذن ، والمطر لا يزال ينهمر ، وغزو
ما انفك ينشج وينتعب ، وارجاء المسلخ تمتلىء وبدأ رويداً
بالجزارين ، وعباس في مكانه كأنه ابو الهول وقد تجمدت عينه
كأنها عين جثة فقدت الحياة وتراكضت الصور وتزاحت امامها ...
اطفاله سينتظرونه في الكوخ وهم يمينون انفسهم بانهم سيشتبعون
اليوم سواء لذيذاً ... وها هو ذا يعود اليهم يحرق اذبال الحبيبة
والحسران وقد فقد بقرته ، واضاع ثروته ، وبات بلا عمل وبلا
امل ..

سيضجعون هذه الليلة بالبكاء وسيبكون كثيراً ، لان الجوع
لا يرحم ... غير انهم سيبيتون مرغمين على الطوى ...
وغاب عن الوجود ، وكاد يسقط على الارض مغشياً عليه ،
غير انه تمالك بجهد نفسه ...

واخيراً انتهت عملية الحرق ، فخرج الطبيب والقي نظرة
عطف على عباس واكمل سيره الى منصبه .

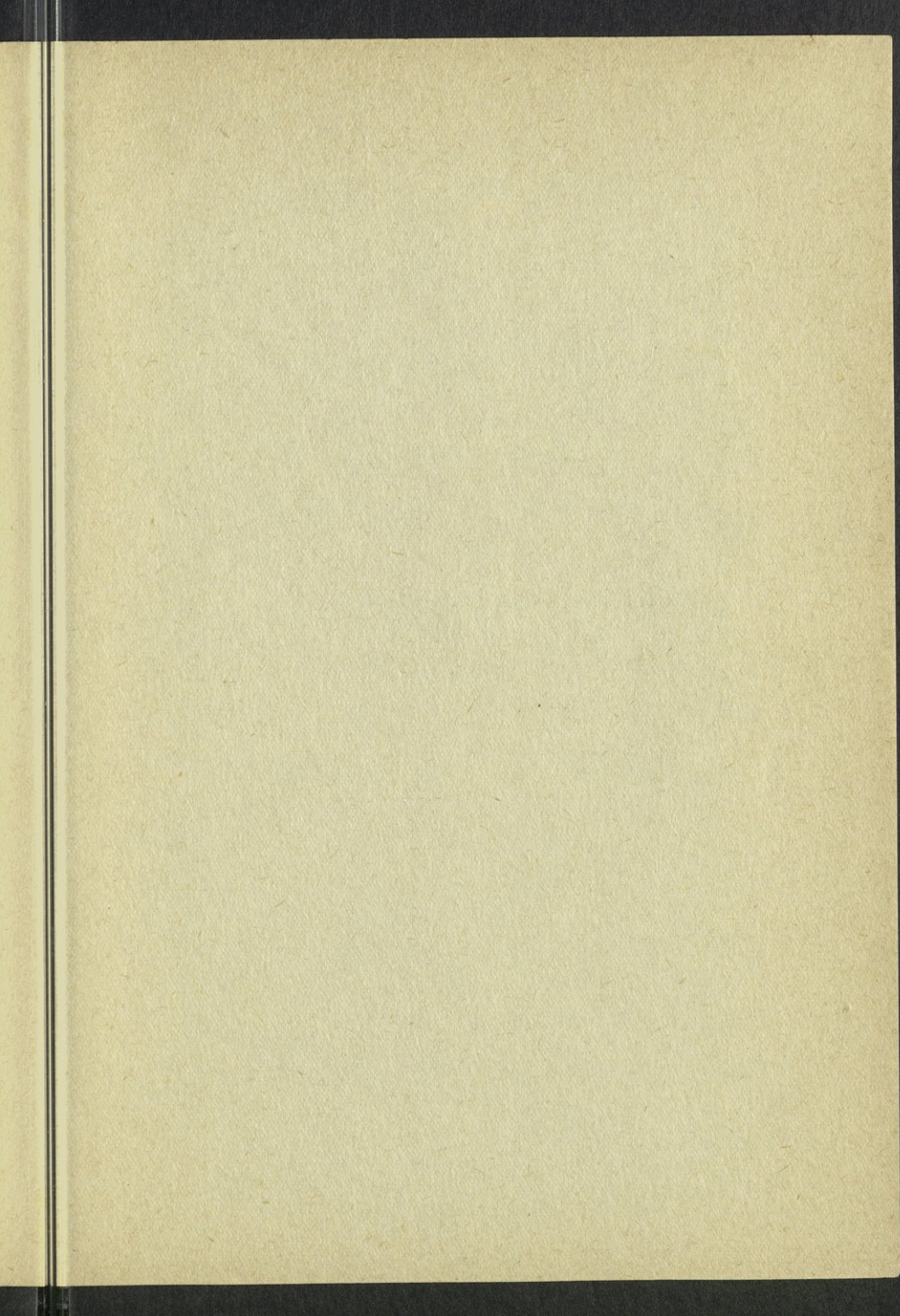
تحرك ابو الهول ببطء وصمت ولملم جلد البقرة وشده بالانشوطة
وحمله ، وبيده الاخرى امسك يد ولده غزو الباكي الملتاع ، الذي
حل بدوره الفانوس المطفأ المهشم الملوث بالدماء وراحا يجران
خطاهما بصعوبة من باحة المسلخ تتبعهما نظرات بقية الجزارين

الحزينة ، وقبل ان يخنفيا بالباب ، نكص عباس على عقبه وبملاح
متحجرة ألقى نظرة أخيرة على المكان الذي احترقت فيه بقرفته
فخيل لبعض الجزارين انهم رأوا خيال دمهه في مقلته ، وسرعان
ما عاد يكمل دربه جاراً باثره ولده ...

واجتاحت الجزارين موجة من الصمت والحزن العميقين ،
فظلوا في مكانهم متأثرين حزيني الملامح ..

وصاح ديك حينذاك ومد صيحته في تأنق واصرار كأنه
يؤكد بانه رأى اول خيوط الشمس وهي تلقىها على الكون ، في
حين ما زالت الكلاب تنبح ... والمطر ما زال ينهمر غزيراً ..
غزيراً يغسل ارض المسلخ من بقايا دماء ...

وما هي إلا هنيهة وجيزة حتى عادت الامور في المسلخ الى
مجرها الطبيعي ، وانهمك كل جزار بعمله ، كأن شيئاً لم يحدث ..



رسالة من مجهول

حين التقى موزع البريد سالم بزوجته ليلي ، في منزل نسيبه
« المحامي جميل فخر الدين » في طرابلس ، كان في اجازة من عمله ،
وسرعان ما كلف احدهما بالآخر ، وبحفل بسيط تم زواجهما ...
كان سالم في العقد الثالث من عمره ، يتيم الابوين لا يملك من
متاع دنياه سوى بيت متواضع قائم في احد ازقة « المزروعة »
ببيروت . ووظيفة « ساعي بريد » امضى فيها قرابة سنوات خمس
استطاع خلالها ان يدخر بعض المال الذي اقتصده من راتبه البسيط .
اما ليلي فقد كانت في عقدها الثاني تنحدر من اسرة تقارب
سالمًا في مستواه الاجتماعي ...

ولأول مرة منذ ان ابصر سالم النور ، شهر بالسعادة والهناء
في كنف زوجته ليلي ، فهو شديد الحب لها ، والغيرة عليها ، لذا
بقي في منأى عن اصدقائه الموظفين ، لا يستقبل احداً في منزله ،
حتى ان رفاق طفولته وصباه اهملهم وقطع كل علاقة بهم .

وأدركت زوجته مركب النقص فيه فلم تقم علاقات بينها
وبين جيرانها الجدد ...

لم يكن ليتصل احد بليلي الا ذروها الذين كانوا يعيشون
اليها في بحر كل شهر رسالتين تأتيان باسمه في اوقات متفاوتة
ليفاجئها بها .

كما ان صديقتها « مريم » نسيبته وشقيقة المحامي جميل ، كانت
الصديقة الوحيدة التي تبعث ليلي في كل شهر باكثر من رسالة ..
كان سالم يخرج مع الفجر الى عمله في شعبة الموزعين ، ليقف
خلف الطاولة الكبيرة يحيط به الرهط المعهود من رفاقه موزعي
البريد ، فيفرغ الاكياس ويفرق الصحف والرسائل والطرود ،
يوزعها بتأن حسب احيائها ، ويصفها اكداً كاداساً متنافرة غير
متناسقة ، ثم يعهد بهذه الاكداً الى اصدقائه الموزعين ، ويأخذ
هو حصته ويخرج لتوزيعها في شارع « نهر بيروت » ذلك الشارع
الصاحب الهائج كالبحر الشائر المزجر المملوء بالباصات والعربات
وضجيج ابواقها والحافلات وهديرها ، والمارة وصخبهم ، وسيارة
تقفز من هنا ، واخرى ترمح من هناك ، وهو يقظ متنبه يقوم
بعملة مهمة ونشاط ، فيتمخلص من توزيعها في الرابعة بعد الظهر ،
ليأخذ الترام الى شعبة البريد ، فيسلم الرسائل التي لم يعثر على
اصحابها .

وكثيراً ما كان يعود الى داره باكراً في الخامسة مساء ،
فيلقي زوجته ليلي في انتظاره هاشة باشة ، وقد حولت عش
الزوجية الى جنة واروفة يحيا في اجوائها الصفاء ، وتظللها

السعادة ...

وبعد اربعة اشهر من زواجها سمح لها بأن تقوم بزيارة ذويها في طرابلس ، وخلال غيابها احس سالم بشوق لا يوصف اليها ، فقد تحولت حياته بدونها الى جحيم ، وعادت بعد خمسة عشر يوماً جذلة فرحه تخبره بأن صديقتها « مريم » قد خطبت الى شاب يدعى « عادل » .

ومرت الايام والزوجان غارقان في عسال الشهور .. وعاد سالم ذات يوم من عمله ليتلقى نبأ من زوجته ، همسته في اذنه وقد تضرجت وجنتاها باحمرار الحجل ، وما ان سمعه حتى كاد يطير فرحاً ..

فقد اثمر حبها جنيناً ..

ومر شهر وأعقبه آخر ، وتبعه ثالث ، وهما يرتعان في نعيم الحياة الزوجية الهنيء ..

بيد ان حادثاً طارئاً عكس صفو حياتها ردحاً وجيزاً من الزمن ...

ففي ذات مساء بعد ان انتهى سالم من عمله ، عاد الى منزله ، وما كاد يقارب عتاب الدهليز المؤدي اليه حتى طالعه وجه زميله عزت ، فوقفا وراحا يتجاذبان اطراف الحديث ، وانتهى بعزت القول :

لقد فقتش عنك اليوم فقبل انك خرجت مبكراً الى التوزيع فقد كان معي رسالة خاصة بزوجتك ليلى !
وسأله سالم : واين هي ؟

اجابه : لقد سلمتها لها .

فبادره مستوضعا : ومن كانت الرسالة ؟

فقلب عزت شفتيه وهو يقول : لم يكن هناك اسم للمرسل !!

ظل سالم في مكانه جامداً لا يحير جواباً ...

خاصة وقد درجت العادة على ان تأتي رسائل ليلى باسمه فيحملها

هو لها ، فمن عساه يكون هذا المرسل الذي لم يرغب في ارسال

الرسالة بواسطته ؟

فودع زميله وتوجه شطر داره مضطرب النفس مشتت

الفكر ، مستطار اللب ، يتجاذبه الف فكر وخاطر عن مصدر

هذه الرسالة التي وصلت لزوجه مباشرة من مجهول ..!

فمن عساه يكون هذا المجهول ؟ ... واي سر تحمله الرسالة ؟

وهاله حين لم يلقَ زوجته كعادتها في انتظاره ، وما ان

خطا خطوة في صحن الدار ، حتى تناهى الى سمعه ضجة وجلبة

وصوت اوراق تتمزق ، وعود ثقاب يشعل ، وبسرعة ففز

الدرجات القلائل المؤدية الى غرفته ، وولجها كالبرق ، فألقى

زوجته مضطربة ، مشنجة الاعصاب ، وما كاد نظرها يقع على سالم

حتى ازداد اضطرابها .

وفي عتبة الغرفة كانت بقايا الرسالة تحترق . وبسرعة طبق

سالم بيده عليها غله يعثر في بقاياها على السر الدفين ...

لكن الرسالة كانت قد احترقت ، الا رقعة صغيرة منها ، لم

تفلح فراسته في حل رموزها ، إذ كانت مكتوبة بخط ردىء

مبهم ، فانبرى يصلي زوجته بنظرات شرراء في حين انكمشت

هي على نفسها ، وقد كسا الاصفرار وجهها ، واخذت اوصالها
ترتجف كأنها قصبة في مهب الريح . وفي عينيها تجسم الوعب
والذعر كأنها اقترفت جريئة نكراء أو أتت ذنباً خطيئراً
فباتت تحشى مغبة العقاب ، فسألها في ثورة ، والغضب يتطاير من
كلماته كالحمم : لماذا احرقك الرسالة ؟ .. تكلمي ، لماذا احرقتها ؟ ..
غير ان ليلى ظلت صامته واجمة لا تحير جواباً ... وقد
ازدادت ملاحمها اصفراراً .

فاردف سالم يقول : تكلمي ، لماذا احرقتها ؟ .. اجيبيني ، بمن
جاءتك ؟ .. ومن هو المرسل ؟ .. والدتك ، والدك ، صديقك
مريم ؟

بيد انها لم تجب بشيء ، فانبرى زوجها يلح في السؤال ورغم
ذلك لم تنبس بكلمة . فاحتدم سالم حدة مزوجة بمرارة ، وصرخ
فيها : اجيبيني من هو المرسل ؟ .. تكلمي من أرسلها اليك ؟ ...
ومرة أخرى كان ردها الصمت كأنها تحولت الى تمثال قد
من حجر .. فنارت اعصاب سالم ، ولطمها بقوة لطمه تركتها
تعاثق ارض الحجرة ، فارتفع بكأؤها ونحيبها ، اما هو فما انفك
يلح على معرفة اسم المرسل ، والغيرة تتأكل صدره ...
ورفعت ليلى رأسها ، وتحركت شفتاها ، وغغمت ،
والغصات تقطع نبرات صوتها : هذا أمر ليس من شأنك ! ..
انه أمر لا يعنيك ! ... انه يخصني فقط ! ..

وانفجر مرسل غضبه فانطلقت يدها بقسوة ووحشية تشبعانها
لكمأً وضرباً . غير ان ذلك ايضاً لم يفد او يجدد فتيلاً فيجعل

ليلي تعترف باسم المرسل ، بل ظلت تنشج وتنتحب وهي تردد :
هذا أمر ليس من شأنك ... إنه يخصني ...

وعيل صبره دون ان يتمكن من الوصول الى سر الرسالة
المجهولة . وأحس بجسده قد هذه الوهن ، وبأعضابه تخور فتهالك
على المقعد يسترجع أنفاسه الحارة المبهورة ، وهو لا يزال يصلها
بنظرات شزر ...

وفي تلك الليلة لم يعرف الكرى الى اجفانه من سبيل ، وظل
يتقلب فوق فراشه حتى انبلج الفجر ...

ومنذ تلك الليلة غربت شمس سعادته ، وتحول الى عين يقظة
يراقب جيئاتها ويبيئاتها ..

وازدادت مراقبته لها حين تبين له ان نفسيتها قد تبدلت
وتحوأت عما كانت عليه في الماضي ، اذ كانت تستسلم الى التفكير
العميق تارة ، وأخرى الى البكاء ، تبكي بألم وحرقة وجن
جنونه حين الفى ان جهوده التي بذلها في الوصول الى السر الدفين
قد ذهبت ادراج الرياح ، اذ لم يتمكن من معرفة اسم المرسل ،
ذلك المجهول ... الذي قلب حياتها رأساً على عقب ..

وما عاد مرة الى منزله إلا ولقي ليلي باكية منتحبة ، أو
ساهمة واجمة ...

وبعد اسبوع من هذا الجحيم الذي استعر سالم في حماة بيوانه ،
طلبت اليه ليلي السماح لها بالسفر الى طرابلس ، لتقوم بزيارة
أهلها معلة ذلك بالشوق اليهم ، فنعها ، وأصر على بقاءها في المنزل ..
وعصفت في رأسه التهم والافكار ، ترى لماذا تزور أهلها ..؟

واي حافز يدفعها للقيام بمثل هذه الزيارة ؟
وبأت الافكار السود تتقاذفه . وكان سؤال واحد يمور دوماً
في اعماقه : ترى لماذا اخفت عليه زوجته اسم المرسل ؟ .. ومن جاءتها
تلك الرسالة ؟ .. هل تكون من عشيق ؟ .. ومن عساه يكون ذاك
الذي هدم صرح سعادته وقوض مضجعه ؟
وفي زحمة تلاطم هذه الافكار التي كانت تصخب داوية هدارة
في اعماقه ، ظل المسكين حائرآ لا يكاد يستقر له رأي او يهدأ
له بال ...

وذات ليلة استيقظ من نومه على اثر حلم مزعج رآه فهاه ان
يجد ليلي مستيقظة تفكر ...
وفي الليلة التالية ضبطها تحرر رسالة على قصاصة من الورق ،
وعبثاً حاول ان يعلم لمن كانت تخطها ...
فاخذت الغيرة تنهش فؤاده محولة حياته الى جحيم . فان تصرفات
زوجته التي كان يظنها ملاكاً طاهراً تدعو الى الحيرة والشك !
فلم تخفي عليه السر وهي التي لم تتعود قبلاً ان تخفي عليه شيئاً ؟ !
وفي امواج هذه الافكار المتلاطمة راح المسكين يتخبط خبط
عشواء دون ان يستطيع ان يجد قبساً من نور يلقيه على سرها
الدين . وتحولت يوماً بعد يوم سعادتها الزوجية الى شقاء وعذاب ،
وقد اطلقت الغيرة الجنونية لنفسها العنان وشتت تفكيره ...
وفي مساء ذلك النهار ، عاد الى المنزل فلم يجد فيه ليلي ، وبعد
برهة عادت باكية ناجبة . ولم تفد ثورته ولا تهديده اياها
بالطلاق نفعاً ...

وبات لا يستطيع القيام بواجبه كما كان شأنه في الماضي ، بل أصبح
بطي ، الحركة ، خمولاً ، شارد الفكر ساهي النظرات ، فأخذ رفاقه
يتهمسون من حوله ، كل يحاول ان يجد تعليلاً لما آلت اليه حالته ...
وفي صباح اليوم الثاني ، وفيما هو وراء الطاولة الكبيرة
يحيط به موزعو البريد ، قفز امام عينيه كالشهب خاطر وسؤال ..
من يدري ؟ قد يكون الجنين الذي يستقر في احشاء زوجته
ليس من صلبه ؟! . اجل ، لعله من صلب عشيقها !.. وليس بالبعيد
ان يكون في تلك الرسالة سر يتعلق بهذا الامر ؟!
اجل هذا هو الرد الذي يبحث عنه .

وهذا طبق ما تحويه الرسالة ...
وقر رأيه اخيراً على التخلص منها !.. سيطلقها !..
اما كفاه ما عاناه من هموم وقلق طوال خمسة عشر يوماً امت
حياته خلالها الجحيم بعينه ، وهي الخائنة ، الزانية ؟..
وان لم تكن خائنة ، فلم تكن حياتها في هذا الغموض المريب ؟!
وما عساه يكون ذلك السر الذي اخفته عليه الا الخيانة
الزوجية ؟!

اذاً ، سيعود هذا اليوم الى المنزل ليضع حداً لهذه الحياة القلقة
المضطربة ...

ولكن ، لا ، لن يدعها تنفذ بجلدها ... سيقتلها !! . اجل
سيقتلها غسلاً للعار !. فهذا هو الحل الوحيد ، وجزاء الخيانة الزوجية !.

وعاد سالم من جديد يفرق الرسائل والصحف والطرود حسب

أحيائها وعناوينها ويضعها في الأمكنة المعدة لها. وكاد ينهي توزيع البريد ، عندما اخذ يقرأ عنوان رسالة ، وفجأت توقفت يدها عن الحركة ، كأنها أصابها شلل مباغت ، وجهضمت عيناه في مجمرها ، وزاغ الاسم من امام ناظرية... وعاد لقراءتها مرة ثانية ، أنها لها... والاسم اممها... اسم الخائنة زوجته !. والحى ، هو حيهم ذاته... وعاد يعمل نظره في الرسالة !. يا للمجرم !. انه لم يرسلها بواسطته ليحملها هو اليها ، بل ارسلها لها مباشرة... ولم يخجل النذل من وضع اسمه في اعلى الظرف !..

ثم اخذ يقرأ اسم المرسل ؛ وقد تشنجت اعصابه .
جميل فخر الدين !?...

وتوقف عن القراءة .. ولكن ، ايعقل ان يكون نسيبه جميل ذاته عشيقها !? وهو الذي دله عليها واختارها زوجة له !? أهو ذاته يخونه ويتصل بها النذل في الخفاء ؟ ليحول حياته الى جحيم .. ومن يدري ؟. فلعل الجنين من صلبه ?.. ومادت الارض من تحت قدميه ، وقفزت الدموع الى مقلتيه .
فبكى في صمت مرير ...

سينطلق الآن الى منزله ليناقد الخائنة الحساب ويقتص لشرفه المثلوم ، فقد اصبح دمها حلالاً بعد ان توفرت الادلة القاطعة على خيانتها الزوجية ...

وخشي ان تعبر ملامحه عما يعتل في اعماقه من مشاعر ، فبدأ يسعى للسيطرة على اعصابه كي لا يفتضح امره ...
ودس رسالة زوجته في حقيبته الخاصة ، مع حصته من البريد .

وخرج من الدائرة قبل الجميع، مستقلاً التوام الى نهر بيروت لينهي التوزيع ، ومن ثم يعود الى البيت ليحاسبها ويقتص منها ...

وها هو ذا في شارع النهر المملوء بالسيارات وضجيج ابواقها، والمارة وصخبهم ، ومن هنا شاب يسأله عن رسالة ومن هناك تاجر يستوضحه عن جريدته ، وآخر عن مجلته ، وهو نهب مشتبك يجيب الجميع بأن لا يريد لهم اليوم على الرغم من ان حقيقته تكاد تنفجر بما تحويه ، وكأله يكاد ينوء تحت عبئها . وتوقف فجأة كمن تذكر أمراً جليلاً : لماذا لا يفرض الرسالة ويستطلع فحواها؟ .. والتمعت الفكرة في رأسه كالشهاب : سيعرف لاشك كل شيء عن عشيق زوجته، نسيبه الخائن جميل ، وعن طريقة اتصاله بزوجته ، ثم يدبر طريقة للاقتصاص منها سوية ، وبالجرم المشهود . وامتدت يده تستولي على الرسالة ، ولكن ، لا ! ! . لن يفتحها لان القانون لا يجيز له ذلك ، وواجهه كموزع يريد يقضي بأن يسلمها بيدها .. وعاد يغدُ المسير ... والافكار السود تتصارع في مخيلته ، وتوقف فجأة عن المسير وامتدت يده بحركة لا شعورية وامسكتا بالرسالة . ليحدث ما يحدث ولتجاوز القانون ، فسوف يفتحها .. فضا وهو يزيد الى ضوضاء الشارع وصخبه ضوضاء وصخباً جديدين ، وشفتاه تتحركان بسبة قذف بها زوجته وجميلاً . فتتحرك الرسالة ونشرها امام عينيه ، بيد ان الاحرف تمازجت بالكلمات ، فالسطور ، واختلط بعضها ببعض . وسمع بوق سيارة من ورائه فوصله صوتها ضعيفاً واهناً ، وسرعان ما اقتربت فاقبضته

من غفوته ، فافسح لها الطريق .. وصعد إلى الرصيف ..
وعاد الى الرسالة يقرأها وأخذت الكلمات تتراقص امام
عينيه ، وابواق السيارات ، ورنين اجراس الحافلات ، وعريضة
المارة ، وصفيو شرطة السير - هذه المزعجات كلها - كانت تقطع
عليه حبل تفكيره . وخيل اليه ان عدد هذه المزعجات قد ازداد
هذا الصباح ، ورغم ذلك فانه مصر على قراءة الرسالة ليعلم
كيفية العلاقات بين زوجته الحائنة وجميل النذل .

ولكن أنى له ذلك والفضاء الرحب مملوء بضجيج السيارات
التي تتطاير كالشظايا ، فلا يحسن قراءتها ، وهي ما زالت منشورة بين
يديه ، وتاجر يسأله عن جريدته ، وشاب يستوضحه عن تحرير ؟
وعزم على قطع الشارع الى الجهة الثانية ، حيث السكون أشمل ،
والهدوء أعم ، وهبط الرصيف وانبوى يقرأها :
حييتي ليلي .

قبلائي الحارة ...

اف .. وتعالى الضجة ثانية ، وأخذت السيارات تتطاير من
حواله ، ورغم ذلك أتم :

واشواقي الملتهبة ...

وسمع دوي الحافلة من خلفه فوصل طنين جرسها الى سمعه
ضعيفاً وهنائاً ، ثم غدا صاخباً قوياً ، وكالسهم عبرت ، وسائقها
يضرب بقدمه جرسها ويملاّ جو الشارع لعنات وشتائم ، وبرزت
كالشياطين من المنعطف السيارات الصغيرة ..
ورغم ذلك استمر في قراءتها :

لقد مضى خمسة عشر يوماً يا ليلي منذ ان ارسلت اليك رسالتي الاولى ...

وتلاشت الكلمات من امام ناظريه ، فقد وقع على الحقيقة المؤلمة التي كان يبحث عنها ، وتحول شكه الى يقين ، وها هو ذا البرهان القاطع بين يديه ، البرهان على خيانة زوجته له مع اقرب الناس اليه !.. ولم يعد شك بأنها خائنة زانية ، وانه مغفل اذ لم يدرك طوال هذه المدة انها تخونه ، ولم يعد يحسن السير ... واصابه الدوار ، وقفزت الدموع الى مقلتيه يبكي حظه للعائر الذي قاده الى الزواج منها . يبكي بألم وحرقة !.. وتراقص امام عينيه المفروورتين بالدموع خيال زوجته الخائنة ، ولفظ سئاتم كالجم زلزلت الشارع وهو يزجر : خائنة ، زانية ، حية رقطاء .. وتناهى الى سمعه وهو في حالته تلك صفيو الشرطي يدوي في الشارع ، وارتفع لغط المارة من كل صوب وحذب . وفي غمرة ذلك الزحام وذاك الضجيج ، امتدت يد قوية بمهولة تحاول مسجه الى الوصيف ، في حين كانت شفتاه تردد : خائنة زانية .. حية ..

ولكن الصرخة اختنقت تحت عجلات سيارة مجنونة كانت تنهب الارض نهبا ، وغاب عن الوجود ولم يعد يدرك بعد ذلك ما حدث ...

وتدافعت المناكب البشرية ، واحاط الناس بجثة سالم المخرجة بالدماء ... اما سائق السيارة الجانية ، فقد اطلق العنان لسيارته لتسابق الريح ، فتختفي بلمح البصر ، كأن الارض

ابتلعتها ...

وازداد عدد رجال الشرطة ، وارتفع صفيهم عالياً ، واخذت السيارات والحافلات تتجههر في طرفي الشارع في خطين طويلين .
فقد قطع جسد سالم والسابلة عليها الطريق ، وعبثاً تعالى صفي الشرطة يحاولون تفريق الجمهور المجتمع ... الذي ارتفع عطه وصخبه ... معلقاً على الحادث كما يحلوه ، ويصور نفسه سالم طبقاً لنفسيته .

فهذا يتألم ، والثاني يلوم ، والثالث يسخر ...
وحضرت سيارة الاسعاف تنشر ولولتها الرهيبة والقشعريرة في النفوس ، فافسحت لها المناكب البشرية الطريق لتقل سالماً الى المستشفى ...

وتفرق الناس كما تجمعوا .. وعادت حركة السير كما كانت قبلاً الا من الفضول والعجب الذين كانوا يستوليون على المارة لوجود بقعات من الدم تلوث الشارع ، وسرعان ما اقبل عمال البلدية ينظفونها ، وبعد برهة عاد كل شيء الى مجراه الطبيعي ...

جاء المساء ، ولم يعد سالم الى منزله ، فراحت زوجته تنتظره قلقة وقد عيل صبرها .

واخيراً علمت سبب تغيبه ، فقد جاء زميله عزت ينبتها ، وكانت الصدمة عنيفة على اعصابها ، فسقطت الى الارض صارخة باكية ملتاعة ، فاخذ عزت يشد من عزمها بكلامه وينهه لوعتها ويهدد اسأها ...

واستقل اول سيارة شطر المستشفى وليلى في شبه غيبوبة ...
وكان في الردهة الكثير من زملاء سالم ، فحاولت ليلي ان
تشاهد زوجها في غرفة العمليات ، غير ان الممرضات لم يسمحوا
لها بذلك ، وفي الردهة راحت بدورها تنتظر النتيجة
بقلق مستفز ...

وبعد برة وجيزة خرج الطبيب من غرفة العمليات ، فهرت اليه
ليلى وزملاء سالم ، سائلين مستفسرين ، فبادرهم الطبيب قائلاً :
هناك بعض الخطر ، لكنه زائل ان شاء الله ...
والتفت الى ليلي قائلاً : أنت زوجته ؟ ..

فهرت ليلي برأسها بان نعم ، اذ لم يكن باستطاعتها التكلم ،
فاردف الطبيب يقول : لقد وجدنا بين انامل سالم هذه
الرسالة الخاصة بك ! ..

فقفزت ليلي كالملسوعة وهي تقول : رسالة خاصة بي بيد سالم ؟ ! ..
وتناولت الرسالة من يد الطبيب فوجدتها ملوثة بالدماء ، فانتحيت
ناحية قصية عن زملاء سالم ، ومن خلال دموعها راحت تقرأها
لتستطلع مكنونها :

حبيبتي ليلي ...

قبلا في الحارة واشواقي الملتببة ...

وعادت الدموع تحجب الكلمات من امام عينها فتحول دون
قراءتها . فمسحت عينها ومالكت اعصابها وعادت تقرأ من جديد :
لقد مضى خمسة عشر يوماً يا ليلي منذ ان ارسلت اليك رسالتي
الاولى ...

ومرة أخرى اكتنزت الدموع في مقلتيها ، بيد انها استجمعت شيئاً من قواها وعادت تقرأ :

وشرحت لك فيها القضية ، على أحسن صورة ، وقد اودعتها كل خفايا قلبي ، وأظنك ما زلت تذكرينها ، وهي قضية الخلاف الذي وقع بيني وبين خطيبي عادل ، وهجرانه لي بعد ان ترك في احشائي ثمرة جريمته النكراء ... فخشيت مغبة الفضيحة لا سيما فيما إذا وقع اهلي على الامر ...

بيد ان الوساطات التي اقترحتها عليّ في رسالتك تمكنت من اعادة المياه الى مجاريها ...

فقد عاد إليّ عادل ، وهكذا أنقذ الله شرف الاسرة من الفضيحة ...

فجئتكم اليوم برسالتي هذه أزف اليك البشرى بأن موعد زفافنا سيكون في بحر الشهر القادم ! ...

فأمل ان يحصل نسيبي العزيز سالم على اجازة من عمله لتحضرا سوية حفلة العرس ...

كما ارجو ألا تكوني قد اخبرته شيئاً عن الحادث ؟ ..

وان سوء التفاهم الذي نشب بينكما واستفحل من أجل رسالتي الاولى ، قد زال ؟ !.

ختاماً ، وفي انتظار حضوركما ، تفضلني بقبول قبلائي واشواقي

المخلصة

مريم

حاشية : أرجو المذرة لانني استعملت ظرفاً من ظروف
شقيقي جميل المطبوع عليها عنوانه واسمه ، إذ لم أجد ظرفاً
ابيض في المنزل !!!

غير ان مريم لم تصدق فيما ذهبت اليه في رسالتها ... إذ لم تم
حفلة زفافها في الموعد الذي حددته !..

لما تأخر شهراً ثانياً من أجل حادث سالم ! ..
وكانت حفلة الزفاف جد فخمة ، حضرها الكثير من عليّة
القوم ... كما حضرها سالم !.. أجل سالم بعد ان شفي من صدمه
السيارة !.. وكان يتأبط ذراع زوجته الوفية ليلى ، وقد طفع البشر
والسرور على وجهيهما ، فراحا يملآن أرجاء المكان بضحكهما ...
فقد عاد الهناء الى قلوبهما ثانية ، وغمرتهما السعادة بفيضها ...
بعد ان أدرك سالم كل شيء عن الرسالة التي جاءت لزوجته
الوفية من ... مجهول ...

سَعْرَكَة .. قَيْسَ الغُرُوبِ

.... وبعينين مكدودتين اجلت طرفاً زائغاً وجلأ الى حيث
يمتد بصري ، رغم انني كنت ادرك انه لن يمتد بعيداً ، اذ كانت
يصطنع في كل مرة بكثافة الظلام الذي كان يلفني . بيد انني كنت
اعلم بحدسي ان الطريق الى الهدف طويلة شاقة ، فقد أمضينا قرابة
الساعة ونحن نزحف على اربعة ... دون ان نصل الى منتصفه ! ..
... كانت الطريق جد وعرة . على الرغم من انه لم يكن
بمقدوري رؤيتها ، فقد كنت اتحسسها بانامي لي اذ كانت صعبة
المسالك تنخللها الحجارة والصخور والاشواك البرية المرتفعة ! .
كل ما يحيط بي كان يدعو الى الرهبة : الليل الخيف وهو في
هزيمه الاخير . . . انفاس رفقائي الحارة المبهورة . . . خفقات
قلوبهم التي كنت اسمعها كوقع المطارق .. وجوهم كما
كنت اتصورها ، رغم ظلام ذلك الليل البهيم ، صفراء بلون الشمع ،
عيونهم القلقة النظرات ... السكون الشامل الذي يزيد في رهبته
حفيف اجسادنا وهي تشق طريقها عبر الصخور والاعشاب ..

الموت الذي ينتظرنا بالمرصاد في كل لحظة ولأقل هفوة من احدنا
ومن بعيد يحمل الينا الاثير صوت ازيز الرصاص .. واشباحنا
التي ترحف على اربعة منذ اكثر من ساعة ، ونحن نتحسس
ككفي في البصر باناملنا الدامية مواطيء ايدينا وركبنا ..
والقنابل الكشافة تتحرى موقعنا فتملأ بفيض من نورها الوهاج
ارجاء المكان فتبهر اعيننا ، ويساورنا الظن ان امرنا قد افتضح ،
فتختنق انفاسنا في صدورنا...

الا ان امرنا لم يفتضح ، فالاعشاب والصخور كانت تحجبنا ، ثم
نعود فنزحف بهدوء وتروى ، ترحف نحو الهدف ..
هكذا كانت التعليمات !!. وكان علينا ان ننفذها بدقة متناهية
والا فالموت الزؤام ينتظرنا ...

واذكرت اخيراً بمجدي اننا قد بلغنا منتصف الطريق ، فقد
تلقينا اشارة بالتوقف عن الزحف ، وبهدوء رحت استرجع
انفاسي ...

ومرة أخرى انفجرت قنبلة كشافة انارت جنبات المكان ،
وعلى ضوءها رأيت احدنا يزحف منفرداً وحيداً نحو القمة ، وكادت
شفتاي ترددان في جدل : خالد صفوة !

غير اني خنقت صيحتي في صدري مغبة اقتضاح امرنا .
فقد كان خالد وحده الذي يحسن الاقدام على مثل هذا !.
كنت خائفاً وجلاً ، وكانت عيناى تجولان في محبورها في
رعب قاتل ، فقد كانت تلك اللحظات من ارهب اللحظات التي
مرت عليّ خلال حياتي ، على الرغم من انه كان يحيط بي عدد يكاد

يتجاوز الثلاثين من خيرة الرجال الأشداء البواسل ..

: فؤاد ... اهذا انت يا فؤاد !؟ .

وبغبطة اجبته هامساً : سعيد !؟ .

واسترجعت بعض رباطة جأشي عندما علمت ان سعيداً بجانبى .
فانه حين يكون بقربي لا يعرف الخوف الى نفسي سبيلاً .
و كنت انفءال خيراً حين نكون معاً ، فقد نشأنا وترعرعنا في
حي واحد ، وحصلنا على التعليم على مقعد دراسى واحد ، وحين
قرر الاقدام على هذه الخطوة البطولية ، كان هذا نفس قرارى .
وعدت احدى من جديد فى الظلام .. وفجأة ، تدحرجت
قطعة من الصخر من اثر زحف خالد ، فتنبه العدو وارتفعت
صفارة الانذار ، واذا بقنبلة كشافة تنفجر ، فتتلا صفحة التل
بنور بهر اعيننا ، فرأينا فى برج المراقبة رشاشين واحا يلعلعان
ويزرعان التل برصاصهما فى جنون ، وفجأة قفز خالد واستوى على
قدميه واقفاً وصرخ صرخة جلجلت فى ذلك الليل البهيم ، واعقب
صرخته دوى هائل ارتج له التل ، واخرس احد الرشاشين ،
وتساقطت من اثر الانفجار الحجارة علينا ، بيد ان الرشاش الآخر
كان لا يزال ينثر التل برصاصه ، فقفذه خالد بقنبلة اخرى ، وندت
عنه آنذاك صرخة الم ، فقد اصابه الرشاش بوابل من رصاصه ، بيد
انه لم يسقط بل القى بقنبلة ثالثة تلا انفجارها سكون عميق .
ومضت لحظات . قبل ان يرتفع صوت القائد يأمرنا بالهجوم ...
وتعالى صراخنا ونحن نتقدم نحو قمة التل حيث برج المراقبة ،
فاحتلناه ، بعد ان قضت قنابل الشهيد خالد على جنود العدو

السبعة ..

وكان جهاز العدو الاسلحي لا يزال يطلب البرج ، فاطفاه احدنا .

وقبيل الفجر ، انهمكنا في اعداد قبر لشهيدنا ... وكان فجر لم نر له مثيلاً ، اذ كانت رايتنا ترفرف عالياً فوق التل ، وكان فقيرنا يعزف لحناً حزيناً ، وفي حفل مهيب ووري الثرى جسد الشهيد خالد .

وما انتهينا من ذلك حتى شرعنا نصلح الخنادق ونعيد بناء الوكر بأكياس الرمل ، فقد كان يخشى ان يفاجئنا العدو بهجوم مباغت ، وبعد ساعة تلقينا اشارة لاسلكية من القيادة تطلب الينا ان نحافظ على التل المشرف على طريق القوافل ... فكان للقيادة ما ارادت ...

لم تكن هذه المعركة الاولى التي خضتها ، انما منذ ان بارحت وسعيداً بلدتنا الشمالية الصغيرة وانضممنا الى جيش الانقاذ، خضنا غمار عدة معارك وأبلىنا وفرقتنا بلاء حسناً واحتلنا عدة مراكز هامة للعدو ...

كل شيء كان يسير سيراً حسناً ، والاتصال بيننا وبين القيادة جارٍ على ما يرام ...

وارتفع صوت القائد يخبرنا بأنه تلقى رسالة لاسلكية من مقر القيادة مؤداها ان الجيوش العربية قد دخلت في هذا الفجر ارض فلسطين !. وان الجيش السوري على تمام الاستعداد لمدنا بما يلزمنا

من الرجال والعتاد ...

وما كاد يزف الحبر حتى ظهرت في الافق طائرة استكشافية للعدو ، فأمرنا القائد بان نصليها بنيراننا ، غير اننا لم نصيبها ، فعادت من حيث انت ...

كنا ندرك ان العدو آت لا محالة ... وفعلاً ، وفي ظرف ساعة من ذهاب الطائرة ، كان يملأ سفح التل !.

وارتفع صوت القائد يطلب ان نتهياً للمعركة القادمة ... وبسرعة اعدنا كل شيء لاستقباله ، رغم ضالة عدونا وعتادنا ، الذي لم يكن ليضارع عدده وعتاده ، ورحنا ونحن وراء اسلحتنا ننتظر اشارة القائد .

كان العدو بدوره يعد نفسه ، فأخطر قائدنا مقر القيادة السورية بما كان يجري ...

وما هي إلا مدة وجيزة حتى زحف العدو وشرطنا زحفاً حثيثاً ، وقائدنا صامت يراقب بمنظاره ، ولا يحير او يأمرنا بفتح بيت النار . واصبح العدو على مقربة مائة متر منا ، حينئذ ارتفع صوت قائدنا ، فرحنا نصليه بنيران مدفعيتنا ورصاص رشاشاتنا ، فكنا نسقط منه العشرات وهو يزحف ونحن نقاومه ونصد هجماته ، فرأى قائدنا والحالة هذه ان يخطر مقر القيادة السورية لاسلكياً لتدركنا بالنجدة ، بعد ان سقط منا عدد من الشهداء ..

ومرت ساعة وأعقبتهما اخرى والمعركة بعد محتمة دون ان تدركنا النجدة ، فحاول القائد الاتصال مرة اخرى بالقيادة. غير ان اللاسلكي كان قد تعطل من شظية قنبلة معادية ، فقطع كل

امل في مساعدة الجيش .. وكان عددنا يتضاءل!!.. والعدو ما يزال
مصرأً على احتلال البوارج ...

وعند الظهيرة تراجع فلوله ، وما ان وصلتته فرقة جديدة
حتى اخذ يتهايم ثانية للمعركة ، في حين اننا لم تدركنا اي نجدة ..
كان عددهم يزيد على المائتي مقاتل ، في حين تقلص عددنا الى
اثني عشر مقاوماً ، ورغم ذلك كان علينا ان نصمد ونصد هجماته
ولا ندعه يحتل التل ...

واحتدمت المعركة ، ونحن نجندل منهم العشرات بينما هم لم
يتمكنوا الا من اسقاط واحد منا بين الفينة والاخرى !!..
وبعد ساعتين من المقاومة والصمود لم يبق منا إلا خمسة
مقاومين بما في ذلك القائد !!..

وسرعان ما جرح سعيد في فخذه جرحاً بليغاً !!..
وسقط القائد شهيداً !!..

ونظرت الى الشهداء ، وانا اتمتع في سري : لم يبقَ منا إلا ثلاثة
وسعيد الجريح . وانهمكت في تضييد جراح سعيد في حين كان الاثنان
الآخران يقاومان بشجاعة ، وأشعل سعيد لنفسه لفاقة راح
يحاذيها انفاسها مخففاً من حدة جراحه .

وما أن انتهيت من تضييده حتى تنبّهت الى صرخة ندت من
احد المجاهدين ، إذ سقط شهيداً !!.. سرعان ما لحقه الآخر !
والنجدة لما تدركنا بعد !!..

وعلى حين غرة توقف العدو عن اطلاق الرصاص وعاد الى
مفتح التل يجمع فلوله ...

لم يبق في برج المراقبة الا انا وسعيد الجريح . حقاً ان
الجيش السوري لن ينجدنا ، اذن يتوجب عليّ وحدي الصمود
والمقاومة حتى الرمح الأخير ، ولا ادع البرج يحتله العدو .
كانت الشمس تميل نحو الغروب صابغة صفحة التل بلون احمر
قانٍ ، والعدو ما يزال منهكاً في تهيئة العدة للانقضاض علينا .
فانهكت بدوري اهيء الرشاش لاستقباله !..

كنت ادرك انها معركة حياة او موت !. فاصلحت اكياس
الرمل ، وهيات مكاني ، واعدت الرشاش مصوباً اياه نحو العدو ،
فطلب اليّ سعيد ان اصلح من جلسته واوجهه قبالة العدو ، ثم
لم يفتأ ان عاد وطلب اليّ ان اهبه المنظار ليراقب حركاته
وسكناته ، وان يتوأس هو هذه المعركة ويبدلي اليّ
بالتعليمات ، وإلا اطلق الرصاص قبل ان يشير عليّ بذلك .
فهزرت رأسي موافقاً .

وبادرني قائلاً وهو يحدق من خلال منظاره بالعدو : انهم يا
فؤاد يزيدون على الخمسين مقاتلاً، فهل تعتقد انهم يحتلون التل ويمرون
على اجسادنا الى غايبتهم ؟..

أطرت مفكراً لا احير جواباً فانبري يطري رجولي
وشجاعي ويث في نفسي العزيمة والايان بالمقاومة .

صمت سعيد وعاد ينث دخان لفافة الثانية في هدوء ..
في حين ، امسكت بالرشاش بكلتا يدي ، اضمه الى
صدري بقوة ، فأمسي كأنه قطعة لا تتجزأ مني ، وبقيت في
انتظار اشارة سعيد كي اصلبهم بنيرانه ...

هاهي الشمس تميل نحو الغروب، وعيناى لا تزالان مسمرتين
على حركات العدو وسكناته .

وأحسست بالدم يغلي في شرايينى حين ارتفع صوت قائدهم
يأمرهم بالهجوم، فانتشروا في جنبات التل، ورغم أنهم كانوا يزيدون
على الخمسين مقاتلاً، كان عليّ وحدي مقاومتهم وصد هجماتهم .

ونظرت الى يد سعيد فألفيتها ما تزال مرتفعة، فبقيت اصبعي
جامدة فوق زناد الرشاش، في حين كان العدو يتقدم، ويتقدم،
وأنا احس بأعصابي تنفوذ . وبنظرات كلها عزيمة وحت اطرف
البصر تارة احدى بيد سعيد المرتفعة، وطوراً بالعدو الذي يقترب
ويقرب، والدم يغلي في عروقي كحسم بركان ثائر، وأصك
بنواجذي اكاد ادميها .

وبعضية كان سعيد يلوك بين شفتيه اللفافة، ويده لا تزال
مرتفعة، وقد تحولت ملامحه الى ملامح وحش ضار ...

كان العدو يتقدم دون ان يقاومه احد، فساوره الظن ان
جميع من في البرج قد سقطوا وقضي عليهم، فراح يتقدم بلا
خوف ولا وجل ...

ونتم سعيد وهو يحدق من خلال المنظار : امست المسافة بيننا
وبينهم مئة متر ...

وبعد فترة وجيزة قال : ثمانين متراً !.. خمسة وسبعين متراً !..
سبعين متراً !.. ستين متراً !..

وأعصابي تكاد ان تنفجر، واصبعي ما تزال جامدة فوق
الزناد، ويداي قد تفولذتا على الرشاش، ودقات قلبي ترتفع اكثر

وأكثر ، والعدو يتقدم ويتقدم ، ويد سعيد ما زالت مرفوعة ،
وبين شفثيه كان يلوك اللقافة بعصبية ظاهرة ، ثم غنم يقول : خمسة
وخسين متراً !!

وأحسست بأعصابي تكاد تخونني ، وأنا أبصر العدو على أقرب
مسافة رأيته فيها . وكان مستمراً في زحفه فرحاً ..

: خمسين متراً !!! وهبطت يد سعيد ، وتحركت اصبعي تضغط
بقوة على الزناد ، فانطلقت من بيت النار الحطم تحصد العدو حصداً ،
فاجفل ، وتوقف عن الزحف وقد سلت المفاجأة قواه ، في حين
كنت اجندل الواحد اثر الآخر .

ثم ارتفع صوت قائدهم يأمرهم بالهجوم ، فعادوا يتقدمون ،
وسعيد يدي إلى التعليقات ، وأنا اسقط الواحد تلو الآخر ،
كأوراق الأشجار حين تهب عليها رياح الحريف ...

وصمت سعيد برهة لا ينبس أو يدي بالتعليقات ، فظننت انه
قد قتل ، فصحت به : لماذا لا تتكلم يا سعيد ؟!

فأجابني فرحاً : الا تسمع يا فؤاد ؟ .. الا تسمع صوت موسيقى
قادمة ؟ انها لا شك موسيقى الجيش ! .. جيشنا السوري !! .. أجل
انها هي ! .. بشراك فقد ادركتنا النجدة !!!

وارهفت السمع هنيهة وجيزة ، فقد كان يحمل الاثير صوت
موسيقى الجيش السوري ، فاذا بي أستمع قوة جديدة منها فرحت
اصطاد المهاجمين في وحشية ضاربة ...

في حين كانت الشمس تميل نحو الغروب ...
والمركة ما زالت محتمة .

وموسيقى جيشنا السوري تقرب وتقرب .

والعدو يضؤل عدده ...

وسعيد يقهقه فرحاً ...

وانا ما زلت أصليهم بنيان الرشاش ، واجتاحني موجة من
النشوة لا تدانيها أية نشوة فصحت بهم صيحة داوية هزت أرجاء
التل ، وقد ذهبت فرحة النصر بعقلي :

لن تموا إلينا أيها الأندال وفينا قطرة من دم ...

واطلقتها قهقهة طغت على أزيز الرصاص الذي كنت أزرع
فيه صفحة التل ، وأحسست بشيء حار يتدفق من ذراعي ، بيد
أنني لم أعره اهتماماً ، ولم اصغ الى سعيد وهو يقول : لقد أصابوك
يا فؤاد فحاذر ...

غير أنني لم أبال بما يقول ، او أعر اهتماماً لاي شيء ، بل
واصلت اطلاق الرصاص ...

وأقت الشمس خيوطها الحمراء الاخيرة على التل تودعه صابغة
صفحته وجثث العدو المتناثرة بلون كلوث الدم ..

وموسيقى الجيش يرتفع صداها ويرتفع باقترابها من التل ..

وانا ما زلت اقهقه وأواصل اطلاق الرصاص .

ورغم ان العدو كان يضؤل عدده ويضؤل !! ورغم اني كنت
أحس في كتفي ثقلاً بغيضاً !! والشمس تغرب !! والشيء الحار
لا يزال يسيل ويسيل !! وكتفي تؤلمني ، والظلام يزحف
ويزحف ...

فان رشاشي لما يصمت بعد ..

آمل

انصرف جموع المهنيين والمدعويين زرافات ووحداناً وهم
يدعون للعروسين بحياة زوجية هائلة ومستقبل طافح بالسعادة .
وما ان خلت الشقة من آخرهم وانصرف الخدم بدورهم ، حتى
قام « كمال » يراقص عروسه الحسنة « آمال » على انغام « التانغو »
المهادنة العذبة ...

وانداحت الموسيقى من حولهما لتسمو بهما الى الملاء الاعلى ،
وانسابا وهما يرقصهما تلك الى الشرفة حيث كان النور خافتاً ،
والقمر في كبد السماء بدرأً ينير بأشعته الفضية الشرفة ، ويدوب
في نشوة ورقة على وجه آمال الفاتن وهي تراقص زوجها الشاب
كمال .

وكفت الموسيقى عن العزف ، بيد انها لم يكفها عن الرقص ،
بل ظلا متلاصقين يمدج كل منهما الآخر بنظرات حاملة لها اكثو

من معنى ، ولا ينبس ببنت شفة ، وقطع الصمت الرائن على
ارجاء المكان صوت كمال يقول : آمال ، ان هذه اللحظة في حياتي
يا آمال لهي من اجمل واعذب اللحظات ...

وما هي إلا هنيهة وجيزة حتى اردف يقول متسائلاً : وانت
يا حبيبتي ، هل مرت في حياتك لحظة تقارب بسعادتها وعدوبتها هذه
اللحظة ؟ .

فاصطبغت وجنتاها باحمرار الخجل ، ونكست رأسها في
حياء العذارى ولم تخرج جوابا .. في حين اعاد كمال السؤال للمرة
الثانية وهو يدنو بوجهه من وجهها ويلفحه بانفاسه الحارة ، فرفعت
رأسها قليلاً لتلتقى قبلته الملتببة ، بيد انه اجفل حين احس ببرودة
شفتيها ، فقد كانتا باردتين كأنهما ذوب الثلج .

وشعرت آمال انها لا تبادله العاطفة ، فنفرت وانفلتت من
بين ذراعيه ، وضألتها باستغراب عن السر ، فتراجعت الدموع في
مقلتيها وأحست بأن نوبة من الدوار قد اصابتها ، وكادت تسقط
على الارض مغشى عليها ، لولا انها سارعت وامسكت الحاجز
بكلتا يديها لتفادى السقوط ، وتناهى الى مجمعها وهي في حالتها
تلك صوت زوجها كأنه آتٍ من وادٍ سحيق الغور : آمال ، هل
تشكين امرأ يا آمال ؟ .. ام ان قبلي لم ترق لك ؟ ..

- قبلة ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة ؟ . لقد التهمت احمر
شفتي يا فؤاد ، ونكاد تلتهم شفتي وانت تقبلني ، وكأنك لم
تقبلني قبلاً ؟ ! متى تعرف السبيل الى الارتواء من القبل ؟

وقطع فؤاد كلامها كرة اخرى بقبلة جديدة طويلة دون ان
ينبس بكلمة ، وراح يضغط صدرها بصدره ضغطاً رقيقاً ، ورفع شفتيه
من فوق شفتيها ليتنفس فعادت تقول : ماذا ستقول والدي اذا تنبّهت
الى شفتي وهما على حالتها هذه ؟ .

ولم يدعها تزيد وإنما لفها بذراعيه القويتين وضمها الى صدره ،
وارتفعت طقطقة القبل تطفئ على الامواج وهي تلامس وتعابت
برفق الزورق المناسب بخفة ورشاقة على غير هدى في عرض البحر
الهاديء الساكن في ذلك الاصيل ، وقد نسي من به الوجود
وما فيه ، وناها عن كل شيء ، فتاه الزورق بدوره في عرض اليم ،
وليس من يوجه دفته ..

— اما كفالك تقبيلاً ؟ . لنعد يا فؤاد الى الشاطئ فقد ابتعدنا
عنه كثيراً .

قالتها بصوت المرتاب في قوله ، فخرج صوتها كأنه الهمس ،
وألقت برأسها الى الوراء ، فراحت النسائم اللطيفة تعبت بخصلات
شعرها الذهبي المستوسل ...

بيد ان فؤاد لم يجب بشيء ، اذ انه لم ينبس طوال هذه
الرحلة الممتعة الا بكلمات قلائل فهو رجل عملي يمتد الكلام فقد علمته
صدقة البحر الطويلة الصمت الطويل فهو صياد عشق البحر وامتن
الصيد وتلقن من تجارب الحياة دروساً كثيرة من بينها ان الكلام
لا يجدي نفعاً في مثل هذه المناسبات والحالات ، وإنما الاعمال
والعواطف الزاخرة هي وحدها التي تقوم مقام الحديث .
وراح وهو في جلسته تلك يحرق بهذه الفتنة التي ألت برأسها

الى الخلف بغنج ودلال .. وعيل صبره وهو يحدها ، فأطلق
العنان لأ نامله ففرزها في جدائل شعرها يعابشها ، ثم حملها بين
ذراعيه العامرتين وضمها الى صدره واطبق شفتيه على شفتيها ،
فانسبت آمال اهدابها الطويلة لتعجب عنه عينيها الخضراوين
الفاتنتين ، واجتاحتها وهي بين ذراعيه نشوة لا تدانيها نشوة
فهمست تقول : كم احبك يا فؤاد ، كم اعبدك ..

اما هو فاسترسل في تقييلها ، فتملصت من بين ذراعيه لتسأله :
هل تشعر يا فؤاد بما اشعر به نحوك من حب جارف ؟ ..
: اذن لماذا اصطفتك دون سائر العذارى لتكوني خطيبي
اليوم ، وزوجتي غداً .

- ابهذا القدر كلفت بي ؟!

فأوما برأسه ان نعم

فألقت آمال بنفسها بين ذراعيه وغابا عن الوجود بقبلة حارة طويلة .

بيد ان القدر الساخر لم يدع الزوجين الهائنين يرتعان في عواسل
الشهور التي تعاقبت على زواجهما السعيد كوميض البرق ..
وكانت آمال تحلم بكل شيء الا ان يعود اليها زوجها فؤاد
ذات اصيل محموداً على اكتاف زملائه الصيادين جثة هامدة ،
والدم يقطر من جسده !!!

فقد انفجر الطور بيد بين يديه قبل ان يلقيه في عرض البحر
فأرداه الحال قتيلاً !

وكانت الصدمة أقوى من ان تتحملها اعصاب آمال التي لم

تألف الصدمات ...

وها هي ذي تعود الى منزل اسرتها ، تعود كسيرة القلب ،
مهيضة الجناح متشعة بالسواد .. وبقيت طوال عام بمعزل عن
العالم ، لا تعرف الابتسامة الى شفيتها سبيلاً !. ايامها كلها اسى ،
ولياليتها برمتها نحيب وبكاء .

وما كاد يتلو ذلك العام عام آخر ، حتى تقدم يطلب يدها
احد الشباب ، فلم تمنع اسرتها الفقيرة ، وكيف تمنع وهي تريد
ان تنقذ آمال مما تعانيه من الآلام والاحزان ...

وانصاعت الى مشيئة ذويها صاغرة ، وكيف تعاند او تقاوم
وهي العبداء الذليلة التي تعيش عائلة على اسرتها الفقيرة المعدمة .

وفي حياتها الزوجية الثانية عاشت آمال بجسدها لزوجها الثاني
«فتحي» ، اما زوجها ، فقد كانت بعيدة ، بعيدة جداً عن المنزل
الزوجي ، كانت تجول بين جدران منزلها الأول ، تبحث عن سعادتها
الضائعة وجبها المفقود .

لقد عاشت تحيا مع الماضي ، ماضيا بافراحه ومسراته ،
واحزانه وآلامه .

وغاظ زوجها منها فتورها ، وألح بالسؤال وهو يريد الوصول
الى كبد الحقيقة ، وظل يلح ، فلم تجد غضاضة او ضيراً من ان
تصارحه بالحقيقة الجارحة المرة ، فسقطت كلماتها عليه سقوط
الصاعقة ، واحس بالارض تتمد تحت قدميه ، وباحلامه العذاب
تنهطم دفعة واحدة .

ومنذ تلك الليلة تحولت حياتها الزوجية الى جحيم مستعر

لا يهدأ ولا يستكين ، واختار كيف سيتصرف ، وكيف سيصلح
الامور ، بيد ان كل محاولة بذلها باءت بالفشل الذريع ، وأبى
ان يحيا مع زوجة تعيش مع ماضيها البعيد لا تشاركه بآماله
واحلامه ، فكان الطلاق اذ وجد فيه ضالتها ، وانعتاقاً لكل
منهما من ربة الآخر ..

وعادت آمال كره اخرى الى منزل اسرتها ، الى سابق حياتها
الحشة القاسية ، في بيئة يكتنفها الفقر ، لتكون حصيلة كل يوم
من ايامها خصام جديد ينتهي بهزيمتها وانفرادها في غرفتها تبكي
سوء طالعها .. وحن فؤادها الى زوجها « فتحي » والى الحياة
السعيدة التي كانت ترتفع في مجبوحاتها وهي في كنفه ، وندمت
ولات ساعة مندم ، فقد كان الطير قد حط في مكان بعيد عن
منالها .. ولم يعد ثمة رجاء في عودته .

... حتى كان ذات يوم ، وفي حفلة خيرية ، التقت بكمال ، الشاب
اليافع ذي الرجل الكاملة والشخصية الجذابة . وكان يتحدرو من اسرة
ثرية عريقة في الحسب والنسب ، فبهره جمال عينيها الخضراوين ،
وأفتنت بقدما المشوق السميري ، وأعجب بقسمات وجهها الرائع
التنسيق . فقد طفى جمال آمال على كل أنثى في الحفلة .

وكان « كمال » من العقل بمكان بحيث انه لم يصغر الى احاديث الناس
ولغتهم المتضارب حول آمال ، واثارت أسرته المعنة في رجعتها حينما
عرض رأيه بالاقتراح بها . اما هو فقد قابل ثورة أسرته بفتور وبرود ،
وسرعان ما وافق ذووها وهم في دهشه من هذا الامر .. فنيا كمال منزلا
زوجياً بعيداً عن جوار أسرته ، وأثنته بفاخر المفروشات ، وهيا كل أسباب

السعادة والحياة الهائلة لزوجته !..

وكانت حفلة العرس من الحفلات النادرة التي شهدت بيروت .

— جرعة واحدة من شراب « الجن » بالليمون تعيد اليك
الرشد يا آمال .

نفضت آمال عنها كبوة احلام ماضيها التي مرت في خاطرها
كوميض البرق .

ورفعت رأسها المنكس ورنّت تحديق الى « كمال » بعينها الزائغين
المغرورقتين بالدموع وبيده كأس الجن يدنيه منها وقد ارتسمت
على ملامحه علائم الحزن والاسى العميقين ، وهو يشعر بان مصير
زواجه منها سيؤول بالفشل شأن زواج « فتحي » .

في حين ظلت آمال بوقفتها تلك وقد تراجمت الأفكار متواكضة
في رأسها الصغير ، فسعادتها وشقاؤها رهن بنائها وطوع وغبته ...
ولكن ، هل بإمكانها ومقدورها ان تحب كمال كما احبت « فؤاد »
حبيبها الاول ؟ . وهل ستجد لكمال متسعاً في قلبها الى جانب
حبها البكر ؟ .. ولكن لا ! . وعز عليها ذلك كثيراً ..

كما عز عليها ان تحطم حياة زوجها كمال ذي القلب الكبير
الطيب فتفجعه بآماله واحلامه فيها .. لتعود ثانية الى منزل اسرتها
طالقة كسيرة القلب مهيضة الجناح .

وبيد مرتجفة واجفة تناولت الكأس من يده وأنت عليه في
جرعات ! .

— ما بك يا عزيزتي آمال ؟ ..

ومن خلال عينيها الزائفتين المغرورقتين بالدموع .. حدجته
بنظرة غريبة لم يفقه لها معنى ، في حين كانت دموعها تسيل خطين
دقيقين فوق خديها الناعمين الموردين ليخفيفاً تحت ثوب زفافها
الزاهي البياض ...

فأعاد كمال السؤال للمرة الثانية : ما بك يا عزيزتي آمال ؟ ..
وخرجت آمال - لأول مرة - عن صمتها وتحركت شفقتها ببطء
وانبعث صوتها هادئاً خلال ابتسامة باهتة المعالم ، ونغمعت تقول :
انها انغماء السعادة يا كمال .. انها دموع الفر ..

ولم تستطع الاسترسال في الحديث ، انما اجهشت في البكاء ،
ولم تتمالك نفسها ، فارقت على صدره تبكي وتنتحب ..

وران الصمت على ارجاء المكان ، ومرت برهة كأنها الاجيال فلم
يدر واحدهما كم من الوقت مر وهما في وقفتها تلك .

لا ، لم تصدق آمال حين قالت انها دموع الفرح ، انما كانت
تبكي حبها الاول الذي خانته صاغرة ، وودعته الى الحدد
بالرغم منها ..

واشرق وجهها بابتسامة عذبة ، ابتسامة من يستقبل حياة
جديدة ، ويبدأ حباً جديداً ..

ورفعت اليه شفتين كلهما دعوة ، فضمها زوجها الى صدره
بحرارة وقوة ، في حين كانت قطرات الدموع تبلبل تلك الشفاه
الوالهة ..

وغابا عن الوجود في جحيم مستعر من القبل .. في يوم ميلاد
سعادتهما الجديدة .



عاهرة ..!

لا .. لم اذرف طوال حياتي حتى ولا قطرة واحدة من
الدموع ... لتبلل وجنتي الضاحكين ابدآ ، ولم تعرف العبرات
والاحزان الى نفسي سبيلاً منذ وعيت حقيقي ، ولا اذكر انني
تأثرت يوماً بشيء ، كما تأثرت وأودى بي الحزن تلك الليلة التاريخية
وانا اشاهد صديقي « عفيف فؤاد » يمثل على خشبة المسرح
المأساة الاجتماعية العنيفة « عاهرة من فلسطين » فاغرورقت عيني
بالدموع ، وظلت العبرات تتراقص بين اهدائي طوال التمثيل .
وفي آخر فصل لم استطع السيطرة على اعصابي ومشاعري ،
فأجهشت بالبكاء ، ورحت انشج وانتحب بصمت كالطفل الذي
يخشى عاقبة بكائه ، على الرغم من ان ممثلاً مهما تقمص دوره وعاش
فيه لم يفلح ولو مرة واحدة بالسيطرة على مشاعري ليتوكني احلق
في اجواء الانهاية كما حييت مخلقاً في تلك الليلة مع اشخاص وضحايا
« عاهرة من فلسطين » .

فقد احسست ان اشخاص المسرحية يمتون لي بصلة القرابة ،
وان صلة الرحم تربطني مع مشردي جنوبنا السليب ..
لم اكن الوحيد المنسجم ، وانا مسحت الدموع من مآقي ،
ورحت افحص الوجوه التي تحيط بي ، وامل نظري في الجمهور
المشدوه المأخوذ وقد عرف حقيقته فصدمه واقعها المرير ، فراح
يسبح في لجة من الحزن والاسى العميقين .

اسدل الستار عن تلك المأساة وأعلن المذيع بصوت متهدج
بالك عن نهايتها ، دون ان يحرك احد من جمهور النظارة ساكناً .
ففي اعماقه تستعز نيوان لا تحبو هي ضرام مستمر وأجيج
لاهب ، لا يهدأ او يستكين . وقد انجلي الواقع ، الواقع المؤلم
المذيب ليعرف ما هي فلسطين بالنسبة لأمته ، وأي واجب هو
ملقى على عاتقه ...

ومرت برهة صمت عميق ران على الصالة كالسكون الذي
يسبق العاصفة دون ان يضج الجمهور بالتصفيق اعجاباً - كما درجت
العادة - على الرغم من بلوغ جميع الممثلين الاوج ، خاصة عفيف .
ارتفع الستار للمرة الثانية وأحنى الممثلون رؤوسهم للجمهور ،
حينئذ فقط استيقظ احدهم من خدره ، وطقق يصفق ويصرخ
بالممثلين مبدياً اعجابه ، فكان تصفيقه وصراخه حافزاً لتنبيه
الجمهور الذي اذهلته حوادث المسرحية ، فضجت الصالة بالتصفيق ،
والصراخ المجلجل راح يشق غنان السماء . ومرت دقائق وعاصفة
الاعجاب ما زالت حامية الوطيس مسعورة تأبى الاستكانة ...
وخرجت عن وقاري ورحت اصفق بدوري ، وأحني الممثلين

مثنيًا على مواهبهم بصوت عالٍ كأن مساً من الجنون أصابني...
واخيراً ، انقسم عقد الجمهور بعد ان اعرب عن اعجابه بالمسرحية
وتقديره للممثلين على احسن صورة وعاما ، وبعد ان ارتفع الستار
واسدل مرات عدة ...

.. غصت في مقعدي واعتمدت رأسي بين يدي ورحت افكر
وانا ما ازال مثلاً من تأثير المسرحية ، فذهني شرود واعصابي
منهوكة وقواي خائرة محطمة . واحسست بيد من الفولاذ تضغط
على نياط قلبي محاولة تمزيقه ، ورحت افكر .. غير ان تفكيري
ارتكز على نقطة جوهرية واحدة : فلسطين ، ومشرديا ، والسبيل
الى غسل العار عن جباهنا واعادة الحق الى نصابه ..؟

وانتهيت اخيراً الى الواقع : ان الحق يصبح باطلاً ان لم
يحط بسياج القوة ، ولكن هل القوة هي كل شيء ؟
وعدت اسبح مصارعاً لجح تفكيري وآرائي ناسياً كل ما
يحيط بي ، غير مدرك ان الصالة قد خلت من الجمهور ، ولم يعد في
المسرح سوى الممثلين يغدون جيئة وذهوباً في الكواليس لخلع
البستهم وازالة المكياج عن وجوههم . غير ان ضجيجهم كان
يصلني صاخباً عاتياً كمن يجلس بقرب خلية من النحل . ورغم ذلك
بقيت بعيداً عن كل شيء ، الا عن تفكيري اناقش نفسي : هل
القوة هي كل شيء ..؟ ووجدت الحل اخيراً : ان القوة ليست الا
عنصراً متمماً ، اي البند الثاني . اما البند الاول فهو وعي الشعب
وادراكه ليعرف حقيقته ويؤمن بها ايماناً كلياً حينئذ يمكنه
الانطلاق مدعماً انطلاقه بالقوة ليغسل العار عن جبين أمته .

: ما للعزن يومض في وجهك والألم المذيب يهصر قلبك فتشي
بها عيناك وتوحي ملاحك بما يعتمل في اعماقك؟!
رفعت رأسي احدق بهذا الفضولي الذي قطع علي سلسلة
تأملاتي وافكاري ، وكدت اقوم لخاصمه ، غير ان الابتسامة
سبقتني لتستقر على شفتي لأهمس قائلاً كمن اوقف من حلم جميل :
عفيف؟! .. أنهيت عملك ؟
فتبسم ولم يجب وانما مد ذراعه ليتأبط ذراعي وهو يبادرني
قائلاً :

بالله عليك يا انيس أصدقني القول . ما رأيك بالمسرحية
والتمثيل وبقية العناصر الفنية ؟
أجبتة ونحن نسير شطر الباب الخارجي : لقد كانت جيد
رائعة ، انها قطعة من الحياة ...
اجاب ضاحكاً : تقول ذلك بحكم الصداقة .
وباستنكار قاطعته ونحن نجتاز الباب الى الممر المؤدي الى
الشارع : كلا ، بل هو الواقع الذي يجب ان يعلن .
وبادرني قائلاً: هل تعلم يا انيس ان المسرحية هي من تأليفي؟!
قلتها باستغراب ودهشة : من تأليفك؟! ..
اجاب باسماً : أجل من تأليفي ! .
ففتح له باب سيارتي وانا بين مصدق ومستغرب ، واحتلت
مكان القيادة .

أخذت السيارة تنساب بخفة ورشاقة فوق الاسفلت ،
وانجرفت في خضم تفكير عميق مداره صديقي عفيف ، وتلك

الحادثة التي غيوت مجرى حياته فحولته من ممثل ساخر يبكي
الناس من فرط الضحك ولا يدعهم يهدأون لحظة واحدة في
مقاعدهم . هكذا تركته قبل سفري للمهجر منذ عام تقريباً ،
وعدت لأجده يبكيهم بكاء مرأو هو يمثل الدراما الغنية ، ويدعهم
يشعرون بالعبء الجسم الملقى على كل فرد من افراد الأمة تجاه
بلادهم .

- ماذا دهاك ؟ .. بالله عليك يا انيس وفي أي لجة تسبح ؟ ...
قطع عليّ عفيف مرة أخرى تأملاتي وبادرتي : افكر في
الطريقة التي حولتك بلاوغ هذه المرحلة من التمثيل .. بحيث
اصبحت كأحد عمالقة الشاشة في الغرب .

وأحس عفيف من سؤالني أنني أبغي معرفة ما وراء الأكمة ..
فأجابني بنجبت : او لعلك تريدني ان أقص عليك ما حدث معي
فتحولت من الكوميديا الى الدراما ؟

نظرت اليه مشدوهاً وغممت قائلاً : يالك من ساحر عظيم
وكاشف للغيب فهذا كبد ما أسعى لمعرفته ، ولكن بالله عليك
من اين عرفت ما يجول في خاطري ؟

حدجني بنظرة تمثيلية وهو يجيبني : لست الاول الذي
يطلب اليّ معرفة ذلك ... الجميع يستوضحونني بالحاح عن السر ...
سكت برهة وراح يجاذب لفافته أنفاسها ويجمع شتات افكاره
ثم قال : حقاً انها قصة طريفة مؤثرة ، تلك التي غيوت
مجرى حياتي ! .

وركن الى الصمت . وبعد هنيهة أكمل قائلاً : كما تعلم يا

صاحبي أن من عادتي دائماً وأبداً أن أراجع الصحف والمجلات خاصة زاوية الوفيات فهي زاويتي المفضلة وهي التي تستأثر انتباهي قبل غيرها من الزوايا. فانا أختار أبطال قصصي من أسماءهم كي لا أتعرض لمس بعض الأشخاص بمسرحياتي الساخرة فيسبب لي ما لا تحمد عقباه . وهذه العادة اتبعتها منذ زمن بعيد وقبل ذهابي الى فلسطين مع الفرقة حيث قدمنا هناك بعض المسرحيات والحفلات التي حازت القبول والاستحسان من جميع الطبقات في الجنوب. حيث كنا خلالها موضع حفاوة الفلسطينيين ، بحيث أن أحدهم وبدعى على ما أذكر ، « توفيق » ... أجل « توفيق حجار » ، وهو من كبار تجار مدينة حيفا ، أصر على أن نقيم في قصره المدة التي قضيناها في حيفا ، وكانت زوجته الشابة وتدعى « كوثر » على جانب كبير من الجمال ودماثة الأخلاق ، فكانت تقوم مع خدم القصر بخدمةتنا على أحسن صورة ، فكنا جميعاً نناديا بيا أختاه ..

وكان لتوفيق ثلاثة أطفال كبيرهم في الخامسة والثاني في ... وبلجاجة قاطعه محتداً : بالله عليك كفى ثرثرة ولا أريده.ك أن تقص عليّ ما أسمعتني إياه قبل سفري للمهجر عشرات المرات ، وكل ما أريده أن تبدأ من حيث طرأ التغيير على مجرى حياتك .

- لا بأس ...

واعتدل عفيف بجلسته ، وأردف يقول : أظنك تذكر ليلة قدمنا مسرحية البخيل لـ «موليير» كان ذلك قبل سفرك للمهجر بيوم واحد حيث دعوتك وأسرتك لحضور المسرحية .

أجبتة :أجل ، أذكر ذلك اليوم جيداً ، وقد ضحكنا كثيراً

بحيث أغمي على والدتي ، وخرج والدي من الصالة وهو يلعنك
وقد قتله آلام « خواصره »

وتابع يقول : وبعد انتهاء المسرحية أوصلتني كما هي العادة
الى قرب منزلك في حي « السرامقة » وسدى حاولت ان تقنعني
كي توصلني الى منزلي الكائن « في زاروب الوطواط » في ذلك
الحي الضيق المعتم ، فقد اقسمت على انك لن توصلني وأنني
سأقطع المسافة بين منزلنا سيراً على الاقدام ، اذ كانت الليلة
مقمرة ، والسكون يشمل المدينة ، وكنت اتلذذ كثيراً لسماع
وقع اقدامي على حجارة الزقاق في ذلك الليل البهيم .

ونظر اليّ عفيف ، ولما ألفاني مصغياً اليه كل الاصغاء اكمل
قائلاً : ودعت اسرتك ليلتها ، وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف
الليل ، فسرت في طريقي وانا ادمدم أغنية بصوت يكاد لا يسمع .
سرت في الازقة المقفرة الموحشة حتى من حراس الليل الذين
اخذتهم سنة من النعاس .

وفجأة !.. احسست بأقدام تتبعني ، فأسرت الخطى وأنا احاول
ان استرق النظر الى الشبح الذي يطاردني !.. غير انني لم أتميزه بظلام
الليل . وشعرت ان الشبح بدوره يسرع الخطى ، فخرجت على
زقاق محاذٍ وانا خائف وجل ، وكنت احس لدقات قلبي صوتاً
كوقع المطارق ، فاذا به يلف نفس الزقاق ، فجالت الف فكرة
وخطره في مخيلتي ، وأردت التأكد من شخصه ، وبت احسب
له الف حساب .

وفي احدى زوايا الزقاق الضيقة المظلمة وقفت بحيث لم ادعه يشعر بي

واخذت ارفع السمع ووقع اقدامه يقترب مني بسرعة ، وما ان
حاذاني حتى استطعت تمييز ملامحه ، فقد كان الشبح ويا للعجب ،
امرأة !! امرأة تطاردني ؟! وتوقع ان تكون شاهدة مسدسها ،
ولكنها لم تكن كذلك ، إنما وقفت في الظلام وراحت تجيل
الطرف هنا وهناك ، لتستطلع عن المنزل الذي ولجته ، وقد
تسارعت انفاسها .

ولم ابغ ان اطيل حيرتها ، فبرزت من الظلام ، ودنيت منها
فألفت بنفسها عليّ واثبتت اناملها في ثوبي ، غير ان المفاجأة
ألجت لسانها ، فبادرتها متسائلاً : ماذا تريد مني ؟ هل
من خدمة ؟..

فحدجتي بنظرة وانفاسها ما زالت تتسارع ، واستطعت ان
أقرأ ملامحها بعد ان ألفت عيناها ظلام الزقاق ، وسألني قائلة :
ألا تريد امرأة ؟

وباستغراب اجبتها : امرأة ما ؟

قالت : امرأة تقضي معها ليلة حمراء !..

وأرسلت ضحكة اقتلعتها من صدرها اقتلاعاً .

وتقززت نفسي لم أرى امرأة بمهولة تعرض جسدها على الرجال
بهذه الطريقة الرخيصة المبذلة ، قلت : ليس بي حاجة الى امرأة .
فراحت تحاول ان تغريني بمعسول كلامها وهي ما زالت
متشبثة بشوبي .

وادنت وجهها من وجهي وراحت تحرقني بانفاسها الملتهبة
وهي تريد : لا تهب مغبة خلوتك بي فقد جعلت ..

فبادرتها وانا احاول تخليص اطراف ثوبي من اناملها: قلت لك
ليس بي حاجة الى امرأة .. اليك عني .

غير انها ظلت عالقـة بي وعادت تغريني بكلامها ،
فقاطعتها بلطمة منى على وجهها الذي كاد يلامس وجهي وقد
تطايرت شرارات الغضب من عيني وانا اصرخ بها كالمسوع : قلت
لك اليك عني ... اليك عني ايها الحية الرقطاء ..

ورحت احاول بجهد تخليص اطراف ردائي من قبضتها ، ولكنني
لم افلح . فراحت قدماي تتحركان بخطى وثيدة فتنسحب باثري مع
ثوبي لتلاحقني بخطواتها التي تقاوم سيوري ، وهي ما انفكت تمطرني
بتوسلاتها وكلمات الاغراء ، حتى اصبحت بعد جهد ولأى شاقين
على مقربة من عمود النور ، ورحت على ضوء المصباح احقق بها
فالفيتها متهدمة الجسم كأنها هيكل بشري ، ذات صدر خائر
ضامر ، كما ان الشيوخـة ادركتها سريعا على الرغم من انها لم
تتجاوز بعد عقدها الثالث ، وثبت حدقتي عيني في وجهها الشاحب
الهزيل وعينيها الغائرتين وشفتيها اللتين طلمتها بالاحمر وقد ارتسمت
في مآقيها صورة الاعياء والسهاد الطويل . ولما الفتني احقق بوجهها
باستغراب وانا لا انبس او احيـر تمتمت تقول : انني لست جميلة
وجذابة كبقية فراشات الليل ، ولكن ...

وحاولت مقاطعتها ، غير انها عادت تتكلم وتضحك تارة
وتبتسم اخرى ، اما انا فلم اكن اعـي شيئا مما تقفوه به .. سوى
انني رحت افكر بعمق هذه المرأة ، ولكنني لم اجد لتفكيوري
قبساً من نور يبدد ظلمات تخيلاتي .

وأفتت من تأملاتي على شفتيها الباردتين وهما تلتصقان بشفتي بقبلة
تمثيلية فابعدهما وأنا اصرخ بها ثائراً : قلت لك اليك عني .. اليك
عني فليس بي حاجة الى امرأة .. ولا اريد ان ادنس نفسي بك
وأنا رجل متزوج .. اليك عني ايتها العاهرة ..

أجابني كالملسوعة وقد تراقصت دمعتان كبيرتان بين أهدابها
الطويلة : أقسم انني لست بعاهرة كما تظن ويحيل اليك ...
وبسخرية أجبتها : كلا فأنت قديسة ...

قالت : أقسم انني لم أكن يوماً من اللواتي يبجن أجسادهن
للرجال ويدنسن أعراضهن ويعفون جباهن بالعار والرذيلة حتى
ولو في سبيل كل كنوز العالم ... ولكن ، الفقر ، والجوع ،
والحرمان ، والتشرد ، ولي أربعة أطفال كبيرهم في الحادية عشرة
وقد استشهد والدهم لبتوكني أرملة ويتوكلهم يتامى فأصبح مرغمة
من فراشات الليل وصائدات الرجال .

ولم تستطع الاسترسال ، وقد قطعت الغصات نبوات صوتها
فأخذت تنتحب وتنشج ، وألقت برأسها بدعة على صدري ،
وهي ما فتئت تبكي بكاء يقطع نياط القلوب ، وأحسست لأول
بعاطفة وقادة تجيش في صدري نحو هذه البائسة ورفعت رأسها من
فوق صدري في حين كانت دموعها لا تزال تنهمر من مقلتيها فوق
وجنتيها الشاحبتين فعنتها لتختفي تحت ثوبها ، وعادت تقول :
لماذا تنظر اليّ هكذا ؟ ألم أرق لك ؟ تكلم ..

غير انني ظلت صامتاً أحرق في وجهها فأكملت تريد : هيا
رافقني الى اي مكان تريد ..

ورغم ذلك فقد بقيت في مكاني ، فأخذت تسجني وهي تقول :
لماذا لا تسير ؟ .. خذني ، خذني بحق السماء ..

وعادت تسجني من أطراف ثوبي وأنا ما زلت ساهياً بالتحديق
في قسبات وجهها ، فأردفت قائلة متوسلة : لا تأخذني كامرأة
لجلالي وشبابي بل بدافع الرحمة والعطف عليّ وعلى اطفالي الصغار
الذين يضجون تحت سياط المرض والجوع ... خذني بحق السماء
من أجلهم ..

أفقت من خدري عليها وهي تسجني فأحسست انها تتكلم
بلهجة تمثيلية ليس الا ...

لا ، لم تكن هذه المرة الاولى التي اخذع بمثل هذه المرأة صائدة
الرجال ، انما خدعت بكثيرون من امثالها ، وجميعهم كن يمثلن
نفس الدور ، فكنت انفجهن في كل مرة بما كان معي من مال
ليتركني امضي في سبيلي .

ولكن لن اذهب هذه المرة ايضاً ضحية هذه الأفعى
الرقطاء ، فأبعدتها عني وأنا اردد بلهجة تمثيلية : انني لأشعر بألمك
وعذابك المرير وما تحسین به ، ولكن ، آسف لانه ليس بمقدوري
ان أمد لك يد المساعدة ، واستأذن لعدم استطاعتي ان اقضي معك
ليلة ... سوداء ...

وبلحاجة اجابتنني : ولكن هل ستذهب وتدعني واطفالي
الجائع مرضى وأنا مشردة ...

واسترسلت في البكاء والنحيب .

اجبتها : كففاك تمثيلاً !.. انا بدرري ممثل ، ومثل قديم ، بالله

عليك اصدقيني القول، هل تمثلين نفس الدور منذ أمد بعيد حتى أتقنته لهذه الدرجة ابتها العاهرة الماكرة ؟

اجابتنى ناحية ناشجة : بحق السماء لا تومني بهذه الكلمات القذرة ، أنظني يا هذا أمثل ؟ .. كلا أنا لم اعتمد التمثيل ، ولم اصعد يوماً خشبة المسرح ، انا لا امثل واقعي المحلوك السواد . انما أنا فقيرة مشردة أبيع جسدي لمن يدفع لي لقمة العيش الذليل لأحمل لاولادي خبزاً مجبولاً بدنس امهم وعارها .. !
انا لست من اللواتي يركضن وراءكم في سبيل ملذاتهن ورغبات اجسادهن ، وانما في سبيل تخفيف وإسكان آلام اطفالي ...

فقاطعتها وقد خطر على بالي سؤال طرحته عليها من باب التسلية قائلاً : ولكن ما دمت هكذا تصورين نفسك شريفة عفيفة النفس فلم لا تبحتين عن عمل وتبتعدين عن هذا الطريق الذي لا يناسب مقامك الرفيع ...

وغمغمت تقول وهي لا تزال تبكي : طرقت ابواباً كثيرة لاعمل لديهم كخادمة ، ولكنها أغلقت في وجهي لان اصحاب البيوتات يبحثون عن خدام غير مهدي الجسم وخائري القوى مثلي ، وقد امتلأت البلاد من مشردي الجنوب ، لذلك هم يختارون قويننا ويهملون ضعيفنا ... حاولت ان استجدي ولكن لم يرحمني احد منهم وكانوا يشيحون بوجههم عني قائلين بسخرية وتأفف : اذهبي وفقشي عن عمل ... ولكن أين العمل ؟ .. أين العمل ؟ .. فلم أجد بداً من سلك هذه الطريق الوعرة ...

وعادت الغصات تقطع أوتار صوتها فتحبسه عني تارة ويخرج

أخرى مشنجاناً كالخمس مبهم المعالم ...
أما أنا فلم أحر جواباً ، وإنما ظلت صامتاً أفكر ، فتابعت
تقول : اني على استعداد لاث اعمل في خدمتك مقابل
اطعامي واولادي ! .
أجبتها : ولكنني لست ميسور الحال حتى أقبلك في خدمة
كوخي ...

بكت وهي تقول : إني شقية في الحياة شأن أبناء أمي ، فمزد
ولدت كتب لي الشقاء لأتسرد من بلادي ، فأثقل هنا فوق مزابل
المجتمع ، المجتمع الذي يظنني غريبة عنه .
توقفت عن الكلام وتابعت بعد هنيهة وجيزة تريد : أعطني
مالاً دون أي مقابل ... أرجوك ...

وانكبت على يدي تلتهمها ، فدفعتها بقوة وأنا أردد بحنق : لا
أعرف أية رياح عاصفة مزجرة القت بك في طريقي ؟ .. قاتك
إليك عني ... إليك عني ...

غير انها عادت من جديد تتشبث بي وانكبت على يدي محاولة
تقبيلها ، وهي تقول : أرجوك ، أقبل يديك وقدميك ، اعطني
شيئاً ... أعطني شيئاً ...

فنهرتها قائلاً : على كل حال لن يجدي كلامك هذا معي نفعاً
فأجيتي عن غيري لتغرري به ...

واطرقت برهة تفكر ، وسرعان ما رفعت رأسها وأجابتنني
بجدة : ولكن جميعكم قساة القلوب ، جميعكم بلا ضمير وقد حجرت
الحياة الرافهة قلوبكم ، وقدت ضمائرکم من حجر ... جميعكم ذئاب ،

فلا تريدونني لأنني لا أروق لكم، فلو كنت شابة لما أحجمت
لحظة واحدة انت وغيرك ، يا دعاة الشرف ، عن الجري بأثري ...
وعادت تحديق في وجهي .. لتري مقدار تأثير كلماتها علي ،
غير ان لهجتها لم تفد او تحرك مشاعري وبعد بوهة وجيزة من الصمت
قالت : ولكن ما رأيك لو وهبتي ليرة واحدة كصدقة لابتاع بها
طعاماً لأطفالي ؟ .. ارجوك ، فقط ليرة واحدة لاربعة اطفال
يضطجعون جوعاً ...

الفتيتها على الارض بدفعة واحدة مني ، ورحت اسرع في
خطواتي ... غير انها لم تلبث ان نهضت .. واخذت تركض
بأثري حتى حاذتني وهي ما انفكت تتوسل قائلة : لا تذهب بالله
عليك ، لا تدعني ارجوك ... انك آخر شخص ألاقه هذه الليلة ،
فقط ليرة واحدة ادفعها لي كيفما اردت ... نصف ليرة ، او اه
انني لا استطيع ملاحقتك ... هلا اخذتني معك الى المنزل لتهميني
قليلاً من الحُبز وفضلات من طعامكم ؟ ..

ولما لم احر جواباً اكملت : ارجوك ... فضلات طعامكم ...
ولكنني لم اجبها بشيء ورحت اغدُ المسير .. فلحققتني وامسكت
كرة اخرى بثيابي ، فثوت في وجهها مزجراً قائلاً : اغري عن وجهي ..
فجددتني بنظرة لا ولن تستطيع الايام مهما توالى ان تمحوها
من مخيلتي ... نظرة اختوت صميمي ، فنظرت الى عينيها وقد
التمع فيها العذاب المذيب وهي ما انفكت تبكي وتنشج ، فخشيت
ان تؤثر علي ثانية ، فضغطت على ساعديها بشدة بحيث تركت ثوبي ،
وانا اقول :

قلت لك انني بدوري يمثل فلا تحاولي ان تندجي في دورك ..
اجابت : اقسم انني لا امثل ، واذا كنت لا تصدقني فتعال
معي لآخذك الى كوخى الصغير فأريك بأمر عينيك اطفالى الاربعة
يفترشون الارض ويلتحفون سقف الكوخ ! . ان كوخى ليس
بعيداً جداً عن هنا ... انه في شارع ... ال ...

فقاطعتها غاضباً محتداً : انني لا استطيع ان اذهب معك ...
لا استطيع .. فقد هلك كاهلي العمل المسرحي فدعيني واذهي
للبحث عن غيبي ..

اجابت بذل وتوسل وقد قطعت كل أمل لها بمساعدتي : وغداً
الا يمكنك ان تزور كوخنا الحقيقى ، غداً؟ ... الا يمكنك؟ . واني
لا عهد الممثلين انهم ذوو قلوب رقيقة تشعر بسرعة بألم الغير ..
سكنت قليلاً وراحت تجدجني بنظرات تستطلع أثر كلماتها ،
وسرعان ما عادت تقول : انك يا استاد تمثل على خشبة المسرح مآسى
الحياة لا كالأواقع ، فتعال معي ... تعال لأريك الواقع ، واقع
ما حل بابناء أمتك ... تعال لأريك اربعة اطفال اسقياء يبيتون
على الطوى ويعيشون منبوذين من مجتمعهم ...

ولاول مرة أثار كلامها شفقتي ، فرحت ابحث في جيبوني
الكثيرة عن بعض النقود ذات الفئات الصغيرة ، واخذت تنظر الى
وهي تدعولي بطول العمر ... غير ان ظننها وظني خابا عندما
أخرجت قبضتي فارغتين وليس فيها شروى نقيير ، فقد كانت جيوبى
باجمها خالية من النقود الكبيرة منها والصغيرة .
قلت : اقسم انني لا املك ولا قرشاً .

اجابت : ولكن ... ما العمل ؟ ..
 وبرأفة غمغت قاتلاً : لست ادري ... دعيني بحق السماء .
 فراحت تنشج وتنحب وهي تردد : ولكن ، كيف أعود الى
 الكوخ وأراهم والمرض يفتك بهم ولا من دواء .. وهم يتضورون
 جوعاً ولا من طعام .. وليس من يرحم ...
 فقللت في سري : كان الله في عونك ... وهل يتطلب مني
 وانا الممثل الذي اتقاضى من الفرقة مائة وعشرين ليرة لا تكاد تسد
 أود اسرتي ان افكر في مساعدة الغير ؟ .
 وبعينين دامتتين رفعت رأسها الى السماء ، وبصوت باكٍ
 غمغت تقول : كيف اعود اليهم يا رب ... كيف اقابلهم وانا
 لا احمل حتى ولا رغيفاً من الخبز اليابس ، والدواء من اين لي
 الدواء ؟ وبكأؤهم وانينهم بصم آذاني ...
 كانت تتكلم بحماسة والدموع تنسكب من مقلتيها بلا انقطاع
 كالسيل العرم وآهاتها المحرقة تذيب حشاشتها ، ثم توقفت عن
 النحيب غير ان دموعها كانت ما تزال تكف من عينيها ..
 وللمرة العاشرة خلصت اطراف ثوبي من قبضتها .
 فأردفت تقول : انك تصر على تركي هكذا شريدة وقد طردني
 من قبلك الجميع واشاحوا بوجوههم عني ...
 واختنق صوتها بالبورات ، وتناهى الى سمعي كلماتها الاخيرة
 وانا اسرع الخطى مبتعداً : اذهب .. اذهب ... ساحك الله ..
 ورحلت اغدُ المسير في حين كان صوتها يأتيني من بعيد انيناً
 وبكاءً فأقفلت اذني براحتي وانا اسرع الخطى نحو منزلي ...

وما ان ارتديت منامي وتهيألت على سريري سعيًا وراء
الكرى ... حتى استعصى عليّ ، وسدى حاولت ان انام
تلك الليلة ، فقد كان ضميري يؤنبني ...
واستطعت اخيراً التغلب على ضميري ، فانا احرى بالمساعدة
والرأفة من أي انسان بائس ...
ورحت في سبات عميق ...

وفي اليوم الثاني ودعتك في المطار دون ان احدثك عن تلك
البائسة لانني كنت قد نسيتهما تماماً .

وهنا سكنت عفيف عن الكلام برهة فران الصمت علينا ،
وعلى ضوء الثقاب الذي اشعل به لفافته ، رأيت في مقلتيه
دمعة حرة تتوقرق ، فبادرته باستغراب متسائلاً : ولكن ، أي
غريب في هذه القصة ؟! . وأي عامل فيها كان السبب في تحويلك من
ممثل هزلي الى ممثل مأساة ؟ ..

ظل عفيف برهة صامتاً ، وكأنه يريد السيطرة على
ناصية تفكيره ، وأردف بعد حين قائلاً : ومريوم ويومان ، واسبوع ،
ونسيت أو كدت أنسى حادثي مع تلك المرأة ...

وفي نهاية الاسبوع وقبل رفع الستار عن الفصل الاول من
مسرحية البخيل بمدة نصف ساعة جلست في غرفتي بالكواليس اقطع
الوقت بتصفح الجرائد والمجلات الحديثة منها والقديمة فأقرأ زاويتي
المختارة .. لم يكن فيها سوى تعيين لثوين ! .

وما كدت اقلب الصفحة ، حتى رأيت صورة ومن

تحتها كلمات قرأتها بسرعة :

« انتحرت ليلة البارحة على صخرة الروشة امرأة مجهولة الهوية
فنتطلب من ذويها الاسراع لاختها ، وقد نشرنا رسمها للتعرف
بها ، وإذا لم يبادروا لاختها في مدة ثلاثة ايام قامت البلدية
بدفنها » .

وعاد فوقف نظري على الصورة ، وجمدت يداي ، وتقلصت
عضلات وجهي وتسارعت دقات قلبي ، وسرت في جسدي قشعريرة
باردة ، وجمحت عيني في محجرهما ..

واختلط علي الامر ... فعدت وقرأت في روية وقمل ، بيد
أن الاحرف والكلمات والصورة امتزجت بعضها ببعض وزاغ
نظري ... فلم اعد أعي ما تحمله ذهني من معنى ...
واثبت نظري في الصورة ...

فقد كانت المنتحرة هي ! .. اجل .. هي امرأة تلك الليلة ! ..
العاهرة ذاتها ! ..

وكانت صدمة هزت اعصابي ، وقفزت الدموع من مقلي ،
فبكيت لأول مرة في حياتي ، بكيت في مرارة وألم ...
تباً لي ، كيف لم اساعدها ...

وسيطرت على اعصابي بعد جهد ورحمت اقرأت تاريخ الجريدة ،
وراعني عندما وجدت بتاريخ خمسة ايام خلت ! ...

منيت تلك الليلة على خشبة المسرح بخيبة لم يمن بها ممثل منذ
كان المسرح ، وارتفع لغط وسخرية الجمهور معلقين على
تمثيلي ، غير انني لم اكن استطيع السيطرة عليهم واضحا كمهم ،

وكيف يريدونني ان اضحكهم وقلبي يبكي دماً؟! .. وفي اعماقي
نيران تستعر ، هي شبح جرميني الزكراء التي اقتوفتها لتذهب
ضحيتها امرأة بائسة ... وتدارك مدير المسرح الامر فاسرع بديلي
ليمثل الدور عوضاً عني ، اما صاحب الفرقة فقد اخذ يعنفني
ويتوعدني ، غير انني لم اعره اهتماماً انما اسرعت انتزع ثيابي
التميلية وامسح المساحيق من علي وجهي . واوقفت اول تاكسي
صادفته وطلبت اليه توصيلي الى مستشفى «اوتيل ديو» حيث الجثة .
وكل ما عرفته بعد ذلك من الطبيب ان احداً لم يتقدم
لاخذها فوارتها البلدية .

وتلك الليلة لم يعرف الكرى الى احفاني من سبيل ، وكانت
الرياح تحمل اليّ صوت تضرعات وبكاء ونحيب العاهرة مختلطاً
بانين ونشيج اطفالها الجياع المرضى ...

وفشلت في اليوم الثاني على خشبة المسرح ، ولم يكن حظي
في اليوم الثالث والرابع خير من سابقيهما ... ففصلت من الفرقة .
واضحت حياتي بعد ذلك جحيماً مستعر الاوار لا يهدأ ولا
يستكين وسلسلة من العذاب المريع ...

وعذاب الضمير ، أقصّ مضجعي ، ولم اعد استطيع النوم ، فرحت
اهيم في الشوارع على غير هدى إثناء الليل واطراف النهار ،
ومن كان يعرفني من قبل ، ايقن ان خبلاً اصابني .

وما مررت بذلك الزقاق المؤدي الى منزلنا مرة الا تمثلتها
امام عيني وهي تردد كلماتها الاخيرة ، وتوسلاتها ذات النبرات
الحزينة .

واخيراً ، افضيت بهومي ، وهو اجسبي الى صديق صدوق ،
فاخذ هذا يخفف من وطأة عذاب ضميري ، ويبعث في نفسي الثقة
والامل أن بإمكانني التكفير عن خطيئتي بافاذتي لمجتمعي بواسطة
المسرح ...

وكان ان فتح صاحبي في وجهي افاقاً جديدة ، فاصبحت انظر الى
الحياة والكون والفن نظرة جديدة لم يكن لي بها عهد فيما سلف ...
واعتكفت اربعة اشهر في منزلي كان نتاجها مسرحية
«عاهرة من فلسطين» وعدت لأصعد خشبة المسرح ثانية لأمثل
باسلوب لا قبل لي به بعد ان احسست بأنني ولدت من جديد
واصبحت مواطناً جديداً ... بعد ان وعيت ما للممثل من اثر
فعال في توجيه الشعب ، وانه لم يخلق فقط للترفيه عن النفوس
باضحاك الجمهور وابعاد السأم والضجر عن قلوبهم وسلوهم واقع
امتهم ، انما بإمكانه كأني مصلح اجتماعي ان يفيد مجتمعه .

كالكاهن في هيكله ، والشيخ في جامعته ، والمحاضر من على
منبره ، كذلك الممثل من فوق خشبة المسرح او الشاشة ، بمقدوره
التبشير بالرسالة التي يريدها ، فيوقظ النفوس الهالكة في خصوصياتها
والمستكلبة على نفسها ليوجهها الى صالح مجتمعيها .

وأفقت من كبوة احلامي لأسأل عفيفاً قائلاً : ولكن
أتدري يا صديقي انك ارتكبت جريمة لا تغفر ؟!

وبلحاجة قاطعتي : اجل .. اني ادرك عظم الجريمة التي ارتكبتها ، لقد
كنت سبباً في انهيار امرأة بائسة ، كل جريمتها كانت ان زوجها وعى
حقيقته في الحياة فقدم كل ما يملك لامته ولم يخل حتى بالدماء ...

أحبته بقولي : كلا ، أنا لا أعني الام ، ولكن أبناءها !... كان عليك واجباً تجاه أبناءنا ؟.

أطرق برهة يفكر وسرعان ما رفع رأسه ونظر إليّ قائلاً : نعم ، لقد فقتش كثيراً وسدى حاولت ان اعلم شيئاً عنهم ، او اعثر حتى ولو على ظلمهم ، ولم اترك منزلاً إلا قرعته ، وبناية إلا سألتها ، وقصراً إلا استعلمته ، وشارعاً إلا فقتشته ... واختلط عليّ الامر ...

لم يكن هناك اربعة اطفال مشردين فحسب ، وانما كان هناك اربعمائة الف طفل شريد ... ومليون فلسطيني يعيشون في مجتمعاتهم وبين اخوتهم وكأنهم غرباء !!.

ان هؤلاء جميعاً يمتنون النفس ابدآ بالعودة الى فردوسهم السليب . وأيقنت اخيراً انه لا يمكن اعادته ، واعادة بقية اجزاء الوطن السليبة الا عند اكتمال وعي افراد الامة ، فينطلقون داعمين وحدتهم ووعيهم بالقوة ..

وما يجب ان يدركه الجميع هو :

« ان الطريق الى فلسطين ليس في حال من باريس ، او لندن او نيويورك ، او موسكو ، او روما ، انما هو من اجزاء الوطن » . اوقفت السيارة في « زاروب الوطواط » امام منزل صديقي عفيف وقد انجلي عن عيني سبب تحوله عن التمثيل الهزلي الى المأساة . وبعد ان ترجل من السيارة وقبل ان يلقي التحية التفت اليّ قائلاً : سهى عليّ ان اخبرك يا انيس ان الشيء الذي عرفته اخيراً والذي خانتني ذاكرتي في معرفته بادىء الامر ، فعاتت لتذكرك ،

ونحقيقته من الممثلين الذين كانوا معي في فلسطين بواسطة الصورة
المنشورة في المجلة، هو ان تلك البائسة المتشجرة لم تكن الا «كوثر»،
اجل اختنا «كوثر» كما كنا نناديها !! زوجة التاجر الفلسطيني
الكبير «توفيق حجار» !!

فلسفة

*

صفحة	
٣	مقدمة
٥	شمعة تحترق
١٣	ليته لم يعد! ..
٢٣	مريضان! ..
٣٧	التمن! ..
٥٥	المعذبون في الحياة
٦٥	رسالة من مجهول! ..
٨١	معركة .. قبيل الغروب
٩١	آمال ..
٩٩	عاهرة! ..

قيد الطبع

رواية اجتماعية ، وقصص أخرى	هذا جنته امي ! ..
دراسة وتحليل لكبار شخصيات الجزيرة	مائة شخصية عرفتها من الجزيرة
مجموعة قصص وصور اجتماعية	نخب المزعجة ! ..
مأساة موسيقار	اللعن الاخير
مجموعة اقصيص مختارة من الأدب السرياني	طاغية .. وصعاليك ! ..
رواية انسانية ، وملحمة عن الطفولة المشردة	ابناء الشقاء
مجموعة قصص اجتماعية	العطر النتن ! ..
دراسة وتحليل لجهاذة الاخراج العالميين	عما لقة الاخراج السينمائي في العالم
مجموعة قصص انسانية	الثلوج المحرقة ! ..
رواية من صميم الواقع	عودة الابن الضال
مسرحية في خمسة فصول	صديق العائلة
مجموعة اقصيص مختارة من الادب الغربي	الزائر الغريب ! ..
مأساة اجتماعية	عاشقة الذكريات
مجموعة قصص بطولية	الغد يأتي متأخراً ! ..
قصة الشباب القلق الحائر من امر غده	لا ربيع بعد اليوم ! ..
مأساة امرأة سقطت مرغمة في حمأة الرذيلة	زهرة في الوحل ! ..

قريباً يصدر عن دار الصراع الفكري



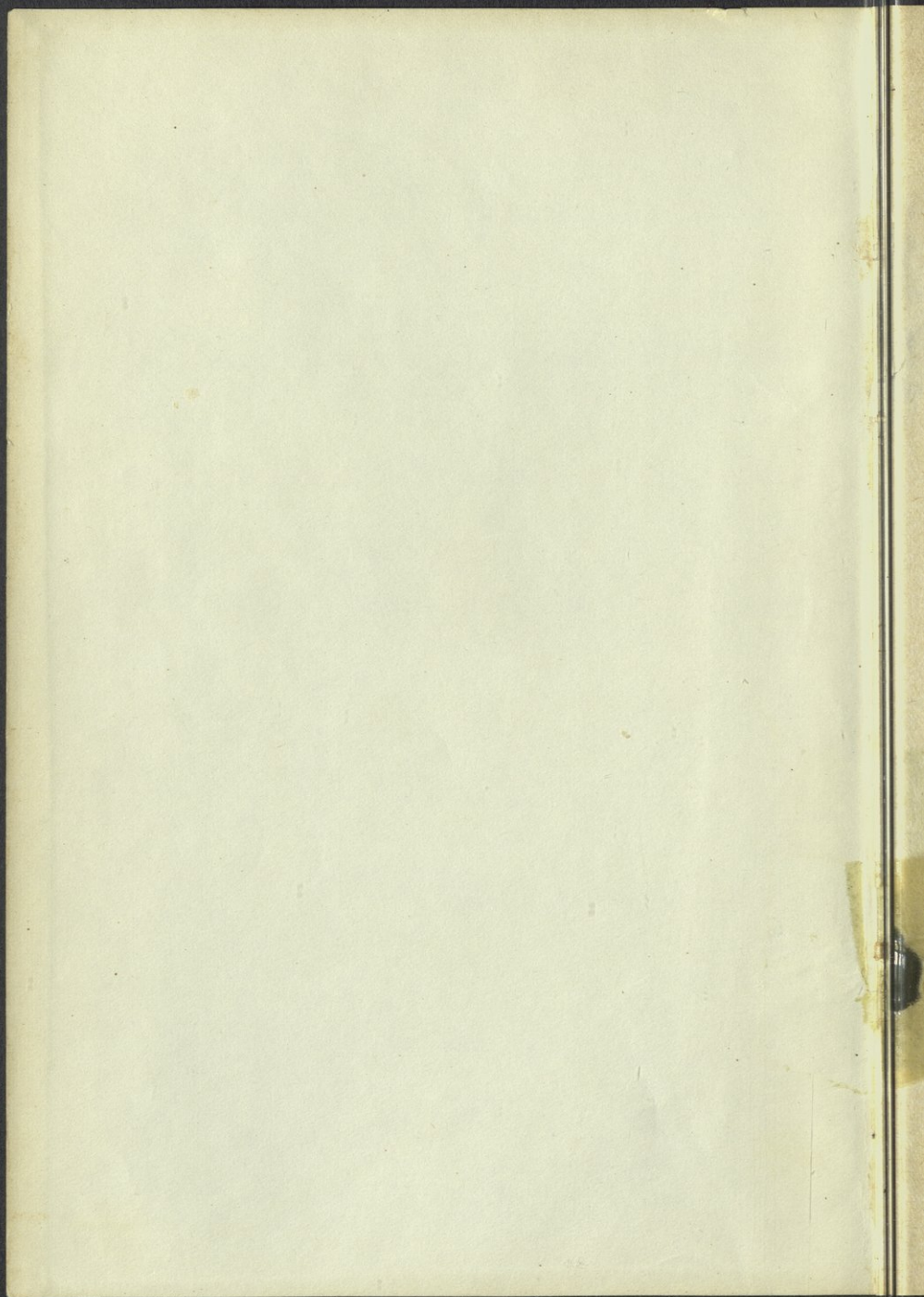
سعيد ابو الحسن المحامي
الياس مقدسي الياس
اميل خليل بيدس
داود جرجس درويش
عادل قيصر يونس
اصكندر لوقا
جان الكسان

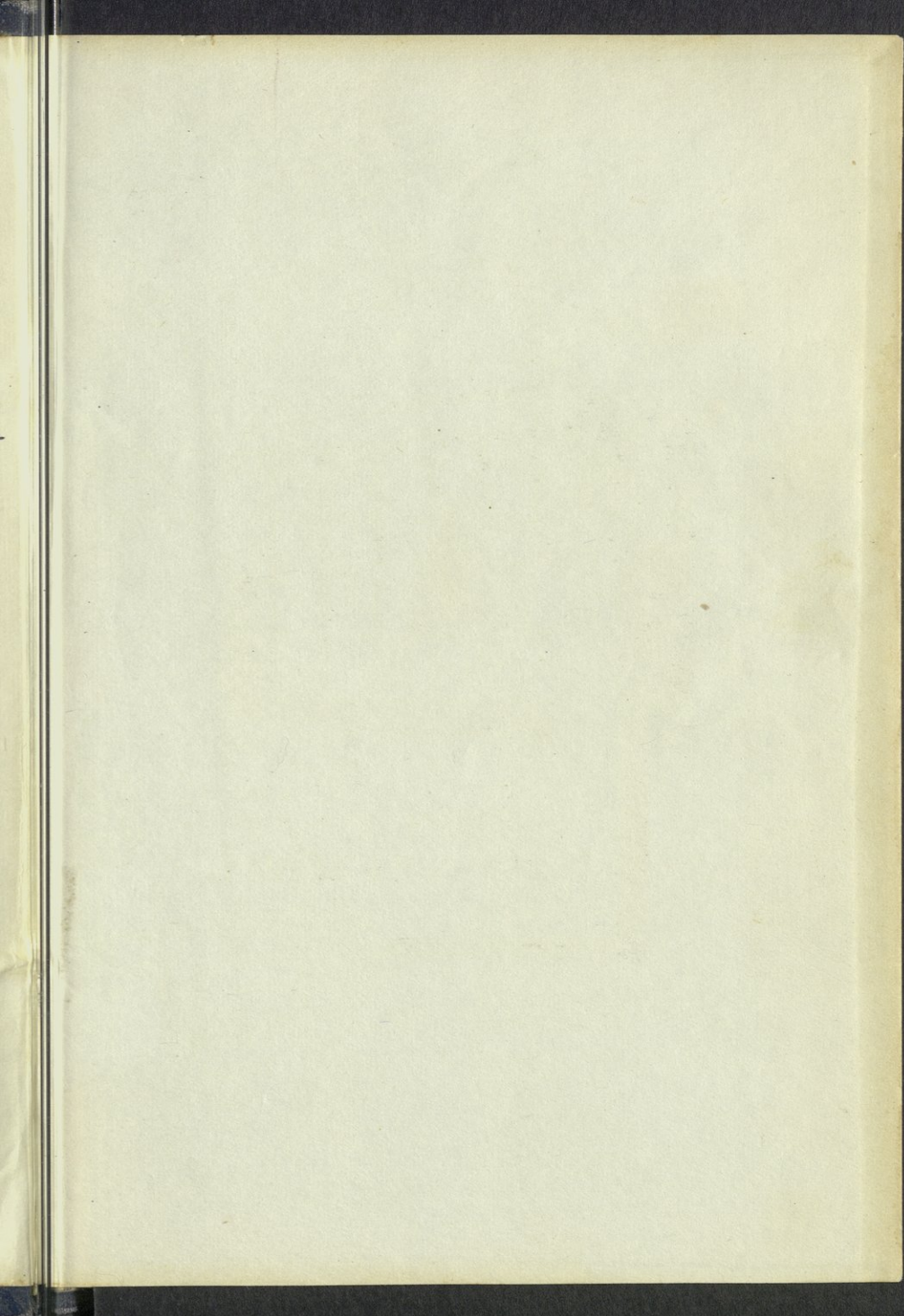
الحق والقانون
هذا جنته امي ...
قصص واقعية
النظرة الثلاثية إلى الوجود والحياة
سر النافذة المغلقة ...
انصاف مخلوقات
نداء الارض

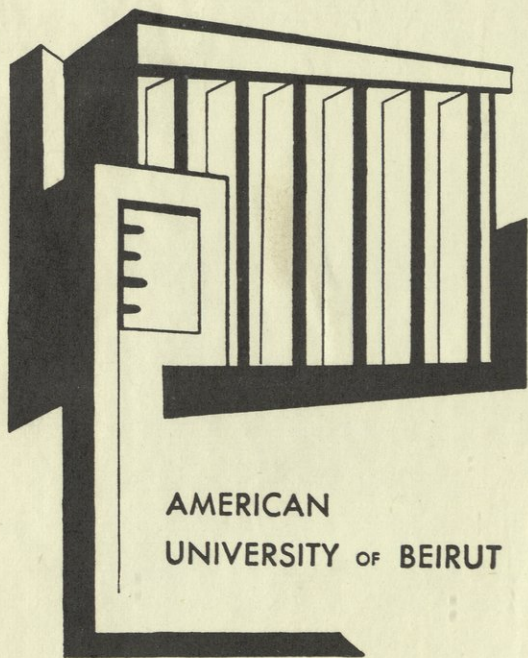
تنبیه

ورد في هذا الكتاب بعض الأخطاء المطبعية التي لا تخفى
على القارئ ، فترجو المندرة .
دار الصراع الفكري

مطابع دار الكشاف - بيروت







AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

